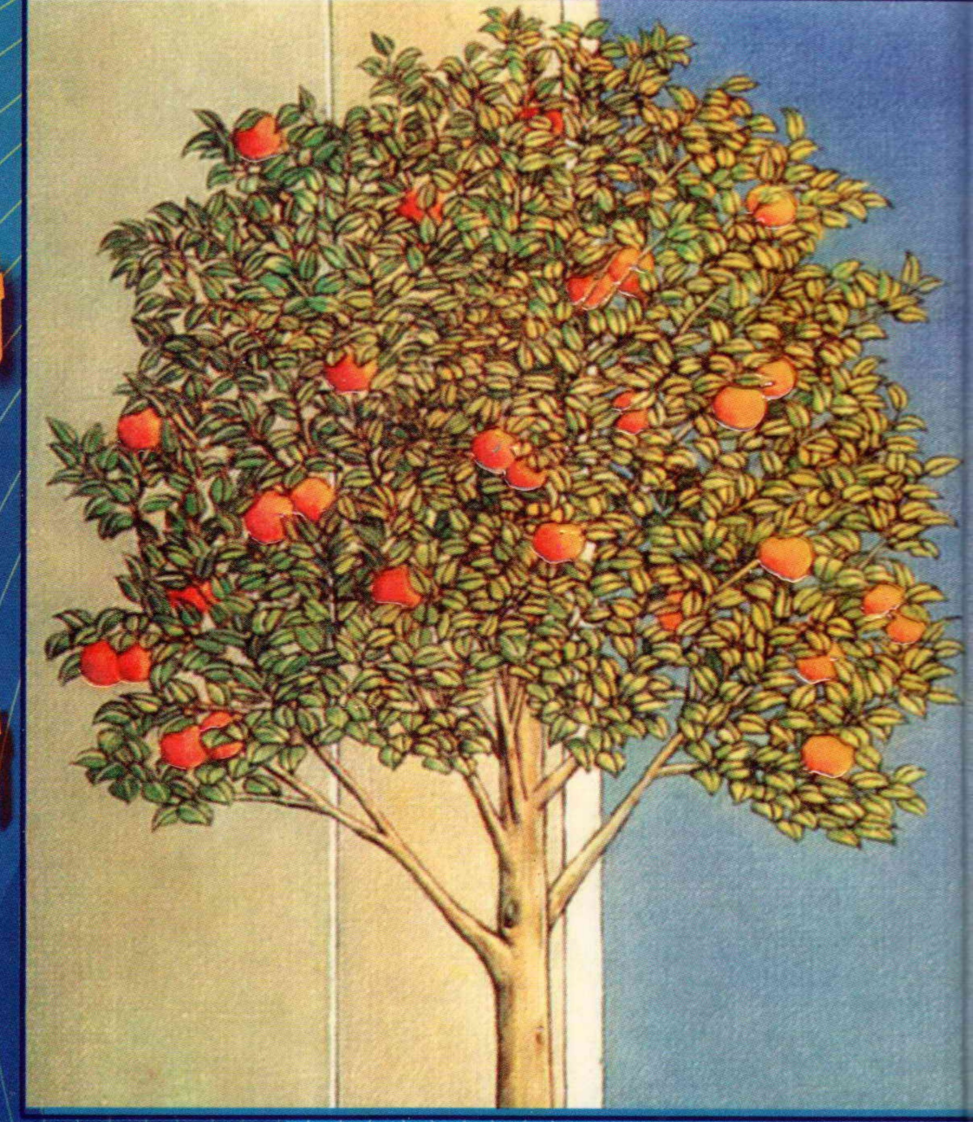
سلسلة المحجة البيضاء

العلامة الكبير الفيض الكاشاني

أخلاق النبوة والإمامة



أخلاق النبوة

أخلاق الائمة

دار المحجة البيضاء


شبكة الفكر
alfeker.net


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة المحجة البيضاء

أخلاق النبوة والإمامة

أخلاق النبوة - أخلاق الأئمة

العلامة الكبير الفيض الكاشاني

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ ـــ ٢٠٠٥ م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم
و
كراماته

مقدمة

إن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق، والآداب رشح المعارف، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتحلّيها، وتبدّل بالمحاسن مكارهها ومساوئها، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه، ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية.

وفي هذا الكتاب نقوم بذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه، التي تشهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلّهم قدراً فكيف مجموعها؟

ثم نضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته، ثم ذكر معجزاته ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم.

تأديب الله النبي بالقرآن

كان النبي ﷺ كثير الضراعة بالقرآن والابتهال إلى الله تعالى، دائم السؤال من الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان ﷺ يقول في دعائه:

«اللهم حسّن خَلقي وخُلقي»(١).

وكان يقول أيضاً:

«اللهم جنّبني منكرات الأخلاق»(٢).

فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣)، فأنزل عليه القرآن وأدّبه به فكان خلقه القرآن.

وإنما أدّبه الله تعالى بالقرآن بمثل قوله تعالى:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٤).

وقوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) مسند أحمد: ج ٢، ص ٤٠٣.

(٢) أخرجه الحاكم: ج ١ ص ٥٣٢.

(٣) المؤمن: ٦٠.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2].

وقوله ﷻ:

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

وقوله عز اسمه:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

وقوله تعالى:

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[6].

وقوله ﷻ:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[7].

---

(١) النحل: ٩٠.
(٢) النحل: ١٢٧.
(٣) لقمان: ١٧.
(٤) الشورى: ٤٣.
(٥) المائدة: ١٣.
(٦) النور: ٢٢.
(٧) فصّلت: ٣٤.

وبقوله تعالى:

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[1].

وبقوله عز اسمه:

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[2].

ولما كسرت رباعيته[3] يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول:

«كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيّهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم»[4].

فأنزل الله ﷻ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[5] تأديباً له على ذلك. وأمثال هذا التأديب في القرآن لا تنحصر، وهو ﷺ المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ومنه يشرق النور على كافة الخلق، فإنه ﷺ أُدِّب بالقرآن، وهو بدوره قام وأدَّب الخلق به. ولذلك قال ﷺ:

«بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[6].

ولمّا أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[7].

---

(1) آل عمران: ١٣٤.
(2) الحجرات: ١٢.
(3) رباعيته: السنّ الذي بين الثنيّة والناب.
(4) رواه البخاري: ج ٥ ص ١٢٧.
(5) آل عمران: ١٢٨.
(6) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٥.
(7) القلم: ٤.

فسبحانه ما أعظم شأنه وأتمّ امتنانه. انظر إلى عميم لطفه كيف أعطى ثم أثنى عليه، فهو الذي زيّنه بالخلق الكريم فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

فبين لرسولهﷺ الخُلق، ثم قام الرسول وبينه للخَلق، فقالﷺ:

«إن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها»[١].

عن عليعليه السلام أنه قال:

«يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول اللهﷺ؟

فقالعليه السلام: نعم، وما هو خيرٌ منه لما أتى بسبايا طيء وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلّي عني ولا تشمت لي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار[٢] ويفك العاني[٣] ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قطّ. أنا ابنة حاتم طيء، فقال النبيﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو

---

(١) أخرجه الحاكم: ج ١ ص ٤٨.

(٢) الذمار: كل ما يلزمك حمايته وحفظه.

(٣) العاني: المحبوس.

بردة بن دينار فقال: يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقالﷺ: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حَسَنُ الأخلاق».

وعن النبيﷺ أنه قال:

«إن الله تعالى حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال».

ومن مكارم الأخلاق؛ حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض برّاً كان أو فاجراً، وتشييع الجنازة للمسلم، وحسن الجوار لمن جاوزت مسلماً كان أو كافراً، وتوقير ذي الشيبة المسلم، وإجابة الداعي لدعوة الطعام، والدعاء إليه، والعفو والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ والعفو عن الناس و. . .

ومن مساوىء الأخلاق التي نهى الإسلام عنها؛ اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها، والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال[1] والاستطالة[2] والمدح والفحش والحقد والحسد والبغي والعدوان والظلم و. . .

وقال معاذ: أوصاني رسول اللهﷺ فقال:

«يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار،

(١) الاختيال: المنادعة.

(٢) الاستطالة: التكبر ـ الترفع.

ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان والتفقّه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وإياك أن تسبّ حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تُحدث لكلّ ذنب توبة السرّ بالسرّ، والعلانية بالعلانية»[1].

هكذا أدّب رسول الله عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

(١) أخرجه البيهقي في الزهد.

أخلاق الرسول

كان رسول الله ﷺ أحلم الناس[١] وأشجع الناس[٢] وأعدل الناس[٣] واعفّ الناس، لم تمسّ قط يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو لم تكن ذات رحم محرم منه[٤]، وكان أسخى الناس[٥] لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه[٦]، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله[٧]، لا يسأل منه أحد شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى أنه ربما قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء[٨]. وكان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله[٩] ويقطع اللحم معهن. أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد[١٠]

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٧٢.
(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل.
(٤) أخرجه الشيخان من حديث علي بن أبي طالب في حديث عائشة.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط.
(٦) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ١٥٢.
(٧) أخرجه البخاري: ج ٧ ص ٨١.
(٨) أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عباس.
(٩) الصدوق في الخصال: ج ١ ص ١٣٠ والترمذي: ج ٨ ص ٣١.
(١٠) أخرجه البخاري: ج ٦ ص ٢٢٥.

ويجيب دعوة الحرّ والعبد[1] ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافىء عليها، ولا يأكل الصدقة[2] ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين[3]، يغضب لربه ﷺ ولا يغضب لنفسه[4] وينفّذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه أو على أصحابه.

ولما عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين مع حاجته وهو في قلة إلى إنسان واحد يستزيد به عدداً؛ أبى وقال: «لا استنصر بمشرك»[5].

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع[6]، يأكل ما حضر، ولا يسأل ولا يردّ ما وجد، ولا يتورّع من مطعم حلال، إن وجد تمراً دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز برّ أو شعير أكله، وإن وجد حلواء أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله[7].

لا يأكل متكئاً ولا على خوان[8]، لم يشبع من خبز برّ[9] ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه ولا فقراً ولا بخلاً[10]. يجيب الوليمة، ويعود المرضى ويشهد الجنائز[11]، ويمشي بين أعدائه

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل ص ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري: ج ٣ ص ١٩٢.

(٣) أحرجه الحاكم.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث هند بن أبي هالة.

(٥) أخرجه مسلم: ج ٥ ص ٢٠١.

(٦) أخرجه البخاري: ج ٥ ص ١٣٨.

(٧) المواهب اللدنية للقسطلاني: ج ١ ص ٣٠٨.

(٨) خوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل. السفرة.

(٩) برّ: القمح.

(١٠) أمالي الصدوق: ص ١٩٢.

(١١) أخرجه الترمذي: ج ٤ ص ٢٣٥.

وحده بلا حرس[1].

أشد الناس تواضعاً وأسكتهم في غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل[2]، وأحسنهم بشراً[3]، لا يهوله شيء من أمور الدنيا[4]، ويلبس ما وجد[5]، وخاتمه فضّة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر[6]. يركب ما أمكنه، يحب الطيب ويكره الروائح الرديئة[7]، يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين[8].

يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتآلف أهل الشرف بالبرّ لهم[9]، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم[10]، لا يجفو على أحد[11] يقبل معذرة المعتذر إليه[12]، يمزح ولا يقول إلا حقاً[13]، يضحك من غير قهقهة[14]، يرى اللعب المباح فلا ينكره[15]، وترفع الأصوات عليه فيصبر[16].

---

(١) أخرجه الحاكم: ج ٣ ص ٣١٣.
(٢) الشمائل للترمذي: ص ٢٣. صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣١.
(٣) بشراً: تبسّماً، الترمذي في الشمائل: ص ١٦.
(٤) أخرجه أحمد في مسند عائشة.
(٥) راجع الشمائل للترمذي: ص ٦.
(٦) صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٥١ ـ ١٥٢.
(٧) البخاري: ج ٧ ص ٢١١.
(٨) البخاري: ج ٨ ص ١٢٠.
(٩) أخرجه الترمذي في الشمائل.
(١٠) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ٣٢٤.
(١١) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٥٥٠.
(١٢) الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٨٦.
(١٣) الترمذي: ج ٨ ص ١٥٧.
(١٤) البخاري: ج ٦ ص ١٦٧.
(١٥) مسند الطيالسي: ص ٢١٧.
(١٦) الدر المنثور: ج ٦ ص ٨٤.

كان له لقاح وغنم يتقوّت هو وأهله من ألبانها[1]، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس[2].

لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له من صلاح نفسه[3]، لا يحقّر مسكيناً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً[4].

قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أميّ، نشأ في بلاد الجبل والصحارى وفي رعاية الغنم، يتيماً لا أب له ولا أم، فعلّمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا.

ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل له كفارة ورحمة[5]، وما لعن امرأة ولا خادماً بلعنه[6]، وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله؟ فقال:

«إنما بعثت رحمة مهداة، ولم أبعث لعّاناً»[7].

وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلماً كان أو كافراً، عاماً أو خاصاً عدل عن الدعاء عليه ودعا له[8].

---

(١) أخرجه محمد بن سعد في الطبقات.
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل.
(٣) الصدوق في المعاني: ص ٨١.
(٤) البخاري: ج ٧ ص ٩.
(٥) أخرجه مسلم: ج ٨ ص ٢٥.
(٦) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٨٠.
(٧) أخرجه مسلم: ج ٨ ص ٢٤.
(٨) أخرجه البخاري: ج ٥ ص ٢٢٠.

وما ضرب بيده أحداً إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء قط إلا أن تنتهك به حرمة الله تعالى. وما خيّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك[1]، وما يأتيه أحد حراً كان أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته[2].

وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض[3].

وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السفر الأول فقال:

«محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة لكن يعفو ويصفح، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو ومن معه، وعاة للقرآن والعلم، يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل»[4].

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام[5] ومن فاوضه الحاجة صابره حتى يكون له المنصرف[6]، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر. وكان إذا لقي أحداً من الصحابة بدأه بالمصافحة ثم أخذ

(١) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٣٠.
(٢) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ٣٥.
(٣) أخرجه البخاري: ج ٣ ص ١٦٦.
(٤) أمالي الصدوق: ص ٢٧٩.
(٥) الصدوق في المعاني: ص ٨١.
(٦) الصدوق في المعاني: ص ٨٠.

بيده فشابكه ثم شدّ قبضته[1]، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى[2]، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفّف صلاته وأقبل عليه، فيقول له: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته.

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة[3]، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان يجلس حيث ما انتهى به المجلس[4]. وما رُوئي قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه[5]. وكان أكثر ما يجلس مستقبلاً القبلة[6]، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه[7] لمن ليست بينه وبينه قرابة وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل. وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه. وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة[8]، قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[9].

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم،

---

(١) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٦٤٥.
(٢) الصدوق في المعاني: ص ٨٠.
(٣) الحبوة: الجمع بين الظهر والساق، أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٥٦١.
(٤) الترمذي في الشمائل.
(٥) الصدوق في المعاني: ص ٨٠.
(٦) الطبرسي في المكارم.
(٧) بسط ثوبه إليه: ألقاه إليه.
(٨) الصدوق في المعاني: ص ٨٢.
(٩) آل عمران: ١٥٩.

ويكنّي من ليس له كنية، وكان يكنّي أيضاً النساء اللاّتي لهنّ الأولاد، واللاّتي لم يلدن يبتدي لهنّ الكنى[1]، وكان يكني الصبيان فيستلين به قلوبهم[2].

وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاءً، وكان أرأف الناس وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، ولم يكن ترفع في مجلسه الأصوات[3]، وإذا قام من مجلسه قال:

«سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، ثم يقول: علَّمنيهُنَّ جبرئيل عليه السلام»[4].

(١) أخرجه الحاكم: ج ٤ ص ٦٣.
(٢) أخرجه البخاري: ج ٨ ص ٣٧ و٥٥.
(٣) رواه الصدوق في المعاني: ص ٨١.
(٤) الحاكم في المستدرك: ج ١ ص ٥٣٧.

كلام الرسول وضحكه

كان النبي ﷺ أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً، وهو القائل: «أنا أفصح العرب»، وأن أهل الجنّة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ[1]. وكان ﷺ نزر[2] الكلام سمح المقالة، إذا نطق ليس بمهذار[3]، وكان كلامه كخرزات النظم. قالت عائشة:

«كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا، كان كلامه نزراً، وأنتم تنثرون الكلام نثراً»[4].

وكان أوجز الناس كلاماً وبذاك جاءه جبرئيل عليه السلام، وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، كلام يتبع بعضه بعضاً، بين كلاميه توقف يحفظه سامعه ويعيه[5]، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة.

وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة[6] ولا يقول المنكر

---

(١) الدر المنثور: ج ٤ ص ٢.

(٢) نزر الكلام: قليل الكلام.

(٣) المهذار: كثير الكلام.

(٤) البخاري: ج ٤ ص ٢٣١.

(٥) الصدوق في المعاني: ص ٨١.

(٦) أخرجه الترمذي في الشمائل.

ولا يقول في الغضب والرضا إلا الحق[١]، ويعرض عمّن تكلم بغير جميل[٢]، ويكني عمّا اضطرّه الكلام إليه مما يكره[٣]، وكان إذا سكت تكلّم جلساؤه، ولا يتنازع عنده في الحديث[٤] ويعظ بالجد والنصيحة[٥] ويقول:

«لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه»[٦].

وكان أكثر الناس تبسّماً وضحكاً في وجوه أصحابه، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه[٧]، وكان ضحك أصحابه عنده التبسّم اقتداء به وتوقيراً له[٨].

قيل إن أعرابياً جاءه يوماً وهوﷺ متغيّر لونه ينكره أصحابه فأراد أن يسأله، فقالوا: لا تفعل يا أعرابي فإنا ننكر لونه، فقال: دعوني والذي بعثه بالحق نبياً لا ادعه حتى يتبسّم، فقال: يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي على الناس بالثريد[٩] وقد هلكوا جوعاً، افترى لي بأبي أنت وأمي أن أكفّ عن ثريده تعفّفاً وتنزّهاً حتى أهلك هُزلاً، أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلّعت شبعاً آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك رسول اللهﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين».

---

(١) أبو داود في السنن: ج ٢ ص ٢٨٦.
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل.
(٣) البخاري: ج ٧ ص ٥٥.
(٤) الترمذي في الشمائل.
(٥) مسلم: ج ٣ ص ١١.
(٦) أخرجه الطبراني.
(٧) أخرجه مسلم: ج ٨ ص ١٢٥.
(٨) الترمذي في الشمائل.
(٩) الثريد: الخبز الذي فتّ وبلّ بالمرق.

كان إذا سرّ ورضي فهو أحسن الناس وإن وعظ بجد فلم يكن يغضب إلا لله[1]، وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر إلى الله وتبرّأ من الحول والقوّة واستنزل الهدى فيقول:

«اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعاً لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

(١) الطبراني في المكارم.

آدابه ﷺ في الطعام واللباس

كان النبي ﷺ يأكل ما وجد، وكان أحبّ الطعام إليه ما كان على ضففٍ، والضفف ما كثرت عليه الأيدي، وكان إذا وضعت المائدة قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة» وكان إذا جلس للطعام يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي، إلا أن الركبة فوق الركبة، والقدم فوق القدم ويقول:

«إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد»[١] وكان لا يأكل الحار ويقول:

«إنه غير ذي بركة وأن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه»[٢] وكان يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل بأصبعين ويقول: «ذلك أكلة الشياطين»[٣].

كان يأكل خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل القثّاء بالرطب والملح، وكان أحب الفواكه إليه الرطبة والبطيخ والعنب.

---

(١) المكارم ص ٢٦.

(٢) الطبرسي في المكارم: ص ٢٧.

(٣) الطبراني في الكبير.

وكان أكثر طعامه الماء والتمر[١]، وكان يتمجّع[٢] اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين[٣]، وكان أحب الطعام إليه اللحم، ويقول عنه: إنه يزيد في السمع وهو سيّد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل[٤].

وكان يأكل الثريد باللحم والقرع[٥]، وكان يحب القرع ويقول: إنها شجرة أخي يونس عليه السلام[٦]. قالت عائشة: كان ﷺ يقول:

«يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيه من الدّبّاء (القرع) فإنه يسرُّ قلب الحزين»[٧].

وكان ﷺ يأكل لحم الطير الذي يصاد[٨]، ولم يكن يتبعه ولا يصيده، بل يحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله[٩].

وكان إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه بل يرفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهشه انتهاشاً[١٠]، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذّراع والكتف ومن القدر الدّبّاء، ومن الصباغ الخلّ، ومن التمر العجوة. ودعا في العجوة بالبركة وقال: هي من الجنّة وشفاء من السمّ والسحر[١١].

---

(١) البخاري: ج ٧ ص ١٢٠.
(٢) التمجّع: أكل التمر اليابس باللبن معاً، أو أكل التمر وشرب اللبن عليه.
(٣) المكارم: ص ٣٠.
(٤) الترمذي في الشمائل: ص ١٢، وابن ماجة: رقم ٣٣٠٥.
(٥) أخرجه مسلم: ج ٦ ص ١٢١.
(٦) الطبرسي في المكارم: ص ٣٠.
(٧) البرقي في المحاسن: ص ٥٢١.
(٨) الترمذي في الشمائل: ص ١٢.
(٩) رواه أبو داود.
(١٠) الطبرسي في المكارم: ص ٣١.
(١١) البخاري: ج ٧ ص ١٠٤.

وكان يحب من البقول الهندباء، والباذروج، والرِّجلة[١]، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول، ولا يأكل من الشاة سبعاً: الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم[٢].

وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكرّاث[٣]، وما ذمّ طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يُبغضه إلى غيره[٤].

وكانﷺ يلعق الصفحة فيقول: آخر الطعام أكثر بركة[٥]، وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمَّر[٦] ولا يمسح بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدري في أي الطعام البركة[٧] وإذا فرغ قال:

«اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت،
لك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنى عنه»[٨].

وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه[٩].

وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات[١٠]. وكان يمصّ الماء مصّاً ولا يعبّ عبّاً، وربما كان

---

(١) الرِّجلة: البقلة الحمقاء لأنها تنبت على طرق الناس فتداس.
(٢) رواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلاً.
(٣) الطبرسي في المكارم: ص ٣١. الكراث: بقل خبيث الرائحة، من فصيلة الزنبقيات، شبيه بالثوم.
(٤) البخاري: ج ٧ ص ٩٦.
(٥) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ٢٨.
(٦) البخاري: ج ٧ ص ١٠٦.
(٧) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ٢٨.
(٨) روى نحوه ابن السنى في عمل اليوم والليلة: ص ١٢٥.
(٩) أخرجه أبو يعلى كما في المغني.
(١٠) مسلم: ج ٦ ص ١١١.

يشرب في نفس واحد حتى يفرغ ولا يتنفّس في الإناء بل ينحرف عنه[1] وكان في بيته أشد حياء من العاتق[2] لا يسألهم طعاماً ولا يتشهّاه عليهم إن أطعموه أكل، وما أعطوه قبل وما سقوه شرب، وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه[3].

أما أخلاقهﷺ في اللباس فقد كان يلبس الثياب ما وجد من إزار ورداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك. وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم، وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو، وكان له قباء سندس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه[4]. وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره[5]، وكان له كساء ملبّد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد»[6] وكان له ثوبان واحد ليوم الجمعة خاصة[7].

ولقد كان له كساء أسود فوهبه، فقالت له أم سلمة:

بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ قالﷺ: كسوته، فقالت: ما رأيت شيئاً قط أحسن من بياضك على سواده. وكان إذا لبس ثوباً يلبسه من قبل ميامنه[8] ويقول:

«الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمّل به في الناس»[9].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير.

(٢) العاتق: الجارية التي عتقت عن الخدمة ولم يدركها زوج.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ج ٦ ص ٣٦٤.

(٤) أخرجه البخاري: ج ٧ ص ١٩٢.

(٥) السنن للبيهقي: ج ٢ ص ٢٤٠.

(٦) المواهب اللدنية: ج ١ ص ٣٢٧.

(٧) أخرجه الطبراني في الصغير.

(٨) أخرجه الترمذي: ج ٧ ص ٢٦٦.

(٩) أخرجه الحاكم: ج ٤ ص ١٩٣.

وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول:

«ما من مسلم يكسو مسلماً من شمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميّتاً»[1].

(١) المصدر السابق نفسه.

خلق الرسول في العفو مع القدرة

كان النبي الأكرمﷺ أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسّمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: والله يا محمد لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقالﷺ:

«ويحك فمن يعدل عليك بعدي، فلما ولّى قال: ردّوه عليّ رويداً»[1].

وروى جابر أنهﷺ كان يقبض للناس يوم حنين من فضة كانت في ثوب بلال، فقال له رجل: يا نبي الله أعدل، فقالﷺ:

«ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل، فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل، فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق، فقالﷺ: معاذ الله أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي»[2].

وكانﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غِرّة[3]، فجاء رجل حتى قام على رسول اللهﷺ بالسيف وقال: «من يمنعك مني؟ فقال النبيﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٩٠.

(٣) غِرّة: غفلة.

الله. قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: من يمنعك مني، فقال: كن خير آخذ، فقال النبي ﷺ: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الأعرابي: لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس»[1].

وروي:

«إن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها، فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت قتلك. فقال: ما كان الله يسلّطك على ذلك، قالوا: أفلا تقتلها؟ قال ﷺ: لا»[2].

وسحره رجل من اليهود فأخبره جبرئيل عليه السلام بذلك حتى استخرجه وحلّ عقده، فوجد لذلك خفّة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهر عليه قط[3].

وقال علي عليه السلام:

«بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة (إمرأة) معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فإذا الظعينة بها، فقلنا: اخرجي الكتاب؛ قالت: ما معي الكتاب، فقلنا: لتخرجنّ الكتاب أو لتقتلنّ أو لننزعن الثياب، فأخرجته من عقاصها[4]. فأتينا به

---

(١) مسند أحمد: ج ٣ ص ٣٩٠.
(٢) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ١٤.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) عقاصها: ضفيرة الشعر.

النبيﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول اللهﷺ، فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل عليّ فإني كنت امرءاً ملصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهليهم فأحببت إن فاتني ذلك منهم من النسب أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفراً، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، ولا ارتداداً عن ديني، فقالﷺ: صدقكم، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقالﷺ: إنه شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله عزّ وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1].

وقسّمﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله، فذكر ذلك للنبيﷺ فاحمرّ وجهه فقال:

«رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[2].

وكانﷺ يقول: «لا يبلّغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ج ٥ ص ١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري: ج ٥ ص ٢٠٢.

(٣) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٥٦٤.

إغضاء الرسول عما يكره

كان النبي ﷺ رقيق البشرة، لطيف الظاهر والباطن، يعرف في وجهه غضبه ورضاه، فعن الحسن بن علي عليه السلام قال:

«كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه»[1].

وكان إذا اشتدّ وجده (همه) أكثر من مسّ لحيته، وكان لا يشافه أحداً بما يكره، فقد دخل عليه ﷺ رجل وعليه صفرة فكرهه الرسول ﷺ ولم يقل شيئاً حتى خرج فقال لبعض القوم: «لو قلتم لهذا أن ينزع هذه ـ أي الصفرة»[2]. وبال أعرابي في المسجد بحضرته فهمّ به الأصحاب فقال ﷺ:

«لا تزرموه ـ أي لا تقطعوا عليه البول ـ ثم قال: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء».

وفي رواية أنه كان ﷺ يقول:

---

(١) الصدوق في المعاني: ص ٨١.

(٢) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٥٥٠.

«قرّبوا ولا تنفّروا»[١].

وجاءه أعرابيٌّ يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاهﷺ ثم قال له:

«أحسنت إليك فقال الأعرابي: لا ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفّوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً، ثم قالﷺ: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبيﷺ: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم، فلما كان من الغد أو من العشيّ جاء فقال النبيﷺ»:

إن هذا الأعرابي قال ما قال: فزدناه فزعم أنه رضي لذلك، فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقالﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الرجل الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة خلّوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»[٢].

---

(١) أخرجه النسائي: ج ١ ص ١٧٥.

(٢) أخرجه أبو الشيخ من حديث أبي هريرة.

سخاء الرسول وجوده

كان النبي ﷺ أجود الناس وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً[1].

وكان علي عليه السلام إذا وصف النبي ﷺ قال:

«كان أجود الناس وأسخاهم كفّاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»[2].

وما سئل عن شيء على الإسلام قط إلا أعطاه، وإنّ رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة[3].

وما سئل قط شيئاً فقال لا[4]، وحمل إليه سبعون ألف درهم

(١) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٢٩.
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل: ص ١.
(٣) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٧٤.
(٤) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٧٤.

فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسّمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها[1].

وجاءه رجل فسأله فقال ﷺ:

«ما عندي شيء ولكن اتبع عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال عمر: يا رسول الله ما كلّفك الله ما لا نقدر عليه، فكره ﷺ ذلك، فقال الرجل: أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه»[2].

ولما رجع من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطرّوه إلى شجرة فخطفت رداؤه فوقف رسول الله ﷺ وقال:

«أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العِضاه[3] نعماً لقسّمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[4].

(١) البخاري: ج ٤ ص ١٢.
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل: ص ٢٦.
(٣) العِضاه: شجر عظيم له شوك.
(٤) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ١١٥.

شجاعة الرسول وتواضعه

كان النبي محمدﷺ أنجد الناس وأشجعهم[1]، قال أمير المؤمنين عليعليه السلام:

«لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً. ـ وقال أيضاً ـ كنا إذا احمرّ البأس ولقي العدو القوم اتقينا برسول اللهﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»[2].

وقيل: كان النبيﷺ قليل الحديث، قليل الكلام، إذا أمر الناس بالقتال تشمّر، وكان من أشد الناس بأساً وكان لا يقترب منه في الحرب إلا الشجاع بسبب قربه من العدو في المعركة. حتى قيل إنه: ما لقي رسول اللهﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب. وكان قوي البطش، ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول:

«أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب»

فما رئي يومئذٍ أحد كان أشد منه[3].

---

(١) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٣٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وكان النبي ﷺ أشد الناس تواضعاً مع علوّ منصبه[1]، فقد كان يركب الحمار، ويعود المريض[2] ويتّبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقّع الثوب. وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم[3]. وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك[4] وكان ﷺ يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم[5]، وأُتِيَ ﷺ مرّة برجل فأرعد من هيبته فقال ﷺ:

«هوّن عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[6].

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب، فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه[7].

وقالت له عائشة: كل متكئاً فإنه أهون عليك قالت: فأصغى برأسه حتى كاد تصيب جبهته الأرض ثم قال:

«بل آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد»[8].

وكان لا يأكل على خوان[9] ولا في سُكُرُّجَة[10] حتى لحق بالله ﷻ[11]. وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال:

---

(١) أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل.
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل: ص ٢٣.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده.
(٤) أخرجه الترمذي في السنن: ج ١٠ ص ٢١٢.
(٥) أخرجه الحاكم: ج ٢ ص ٦٦.
(٦) أخرجه أبو داود: ج ٢ ص ٥٢٧.
(٧) (٨) أخرجه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد الله بن عمير.
(٩) الخوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل، السُفرة.
(١٠) سُكُرُّجَة: الصحفة التي يوضع فيها الأكل.
(١١) أخرجه البخاري: ج ٧ ص ٩١.

لبيك[١]. وكان إذا جلس مع الناس أن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإذا تحدّثوا في طعام أو شراب تحدّث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدّث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم[٢].

وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون ويتبسّم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام[٣].

---

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل.

(٣) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٧٨.

صورة الرسول وخلقته

كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردِّد، بل كان وسيط القامة، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحدٌ من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ. ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو ﷺ إلى الربعة[1]، وهو ﷺ يقول: «جعل الخير كله في الربعة».

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالأدم ولا بالشديد البياض، بل هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان[2]. ونعته عمّه أبو طالب فقال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[3]

وكان عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ؛ أطيب من المسك الأذفر[4]. وأما شعره فقد كان رَجْلُ الشعرِ[5]، ليس بالسبط ولا الجعد القطط[6]. وقيل إنه كان شعره يضرب منكبيه، وأكثر الروايات أنه كان إلى شحمة

---

(١) الربعة: الوسيط القامة.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٤٣.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤٩.

(٤) الأذفر: الطيب الريح، صحيح مسلم: ج ٧ ص ٨٢.

(٥) رجل الشعر: أي شعره بين الجعودة والاسترسال.

(٦) القطط: الشديد الجعودة. السبط: السهل المسترسل أخرجه الترمذي في الشمائل: ص ١.

أذنيه، وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك.
وكانﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته[١]. وكانﷺ واسع الجبهة أزجّ الحاجبين[٢]، وكان أيضاً أبلج[٣] ما بين الحاجبين، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما[٤]. وكان أهدب الأشفار[٥] حتى كاد يلتبس في كثرتها، وكان مستوي الأنف، مفلج الأسنان ـ أي متفرّقها ـ وكان إذا افتر ضاحكاً افترّ عن مثل سنا البرق إذا تلألأ.

وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم[٦]، وكان سهل الخدين، ليس بطويل الوجه ولا المكلثم[٧]، كثّ اللحية[٨]، وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه.

وكان من أحسن عباد الله عنقاً، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والريح كأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب.

وكانﷺ عريض الصدر، موصولاً ما بين لبّته[٩] وسرّته بشعر منقاد كالقضيب، ولم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره[١٠]، وكانت له عكن[١١] ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٤٩.
(٢) زج حاجبه: أي رق في طول.
(٣) الأبلج: المفترق الحاجبين.
(٤) الدعج: السواد في العين، عين نجلاء: عين واسعة.
(٥) هدب الأشفار: أي طويل شعر الأجفان.
(٦) المعاني للصدوق: ص ٨٠.
(٧) المكلثم: الوجه القصير الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم.
(٨) كث اللحية: لحية قصيرة وكثيرة الشعر.
(٩) اللبّة: موضع القلادة من الصدر.
(١٠) الكافي: ج ١ ص ٤٤٣.
(١١) العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

وكان عظيم المنكبين، ضخم الكراديس[1] والمرفقين والوركين[2].

وكان واسع الظهر ـ الظهر ما بين كتفيه ـ على كتفه الأيمن شامة سوداء تضرب إلى الصفرة.

وكان ضخم العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب الراحتين، سائل الأطراف[3].

وكانت أصابعه كقضبان الفضة، وكفّه ألين من الحرير كأنها كف عطار، يصافحه المصافح فيظلّ يجد ريحها في يومه، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه[4].

وكان يمشي الهوينا بغير تبختر، وكانﷺ يقول:

«أنا أشبه الناس بآدمعليه السلام وكان أبي إبراهيمعليه السلام أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً»[5].

وكانﷺ يقول:

«إن لي عند الله عشرة أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي، وأنا رسول التوبة وأنا رسول الملاحم، والمقفي قفّيت الناس جميعاً وأنا قثم[6]»[7].

---

(١) الكراديس: كل عظمين التقيا في مفصل.
(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٩٦.
(٣) سائل الأطراف: تامها غير طويلة ولا قصيرة.
(٤) مجمع الزوائد: ج ٨ ص ٢٨٢.
(٥) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٤٨.
(٦) القثم: الكامل الجامع.
(٧) مجمع الزوائد: ج ٨ ص ٢٨٤.

خُلق الرسول وخَلقه
برواية الحسن والحسين عليهما السلام

عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي[1] وكان وصّافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلّق به فقال:

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً مغنّمها[2]، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذّب، عظيم الهامة، رَجِل الشعر إذا انفرقت عقيصته قرن[3] وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره، أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عِرق يدرُّه الغضب، أقنى العِرنين[4]. له نور يعلوه يحسبه من لا يتأمّله أشمّ[5]، كثّ اللحية، سهل الخدين، أدعج[6]، ضليع

---

(١) هو أخو فاطمة عليها السلام من قبل أمه، فكان ربيب رسول الله ﷺ وكان رجلاً فصيحاً وصافاً للنبي ﷺ، قتل مع علي عليه السلام يوم الجمل.

(٢) الفخامة: العظمة، أي عظيماً معظّماً.

(٣) المشذب: الطويل. الهامة: الرأس. رَجِلَ الشعر: ليس كثير الجعودة ولا شديد السبوطة. العقيصة: الفتيلة من الشعر وفي الشعر كثرته.

(٤) اقتنى: ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه. العرنين: الأنف كلّه.

(٥) الشمم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلاً.

(٦) الدعجة: سواد العين مع سعتها.

الفم. أشنب مفلج الأسنان[1]، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دُمية في صفاء الفضة[2]، معتدل الخَلق، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، موصول اللّبة والسرّة بشعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبط القصب، شَثِنَ الكفين والقدمين[3]، سائل الأطراف، خُمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء[4]، إذا زال قِلعاً يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً، سريع المشية، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه[5]، ويبدر من لقي بالسلام.

قال عليه السلام: قلت له: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله مواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكت يفتح الكلام ويختمه بأشداقه[6]، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دَمِثاً ليس بالجافي ولا بالمهين[7]، يعظّم النعمة وإن دقّت، لا يذم منها شيئاً ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها. فإذا تعدى الحق لم يعرف أحد، لم يقم لغضبه شيء حتى

---

(١) أشنب: أبيض الأسنان والذي لريقه عذوبة وبرد. الأسنان المفلجة: الأسنان: المنفرجة.

(٢) المسربة: الشعر وسط الصدر إلى البطن. الدُمية: الصورة المزينة فيها حمرة كالدم.

(٣) القصب: العظام المجوّف التي فيها مخ نحو الساقين والذراعين. سبوطهما: امتدادهما. شثن الكفين والقدمين: غليظهما.

(٤) خُمصان الأخصمين: لم يصب باطن قدمه الأرض. مسيح القدمين: أي مقدم قدمه ومؤخره مساوٍ وأنه ليس في ظهورهما تكسير. ينبو عنهما الماء: أي لا ثبات للماء عليهما.

(٥) يسوق أصحابه: أي يقدّمهم بين يديه تواضعاً وإكراماً لهم.

(٦) أشداقه: من الشديق: أي البليغ المفوّه.

(٧) دمثاً: أي كان لين الخلق في سهولة، وأصله الدمث: وهو الأرض السهلة الرخوة. ليس بالجافي: ليس بالغليظ الخلقة والطبع. المُهين: لا يهين، المَهين: الحقير.

ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدث أشار بها، فضرب براحته باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضَّ من طرفه، جلُّ ضحكه التبسّم ويفترُّ عن مثل حبِّ الغمام.

قال الحسن عليه السلام فكتمتها الحسين عليه السلام زماناً ثم حدّثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منها شيئاً.

وقال الحسين بن علي عليه السلام:

سألت أبي عليه السلام عن دخول النبي صلى الله عليه وآله فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك وكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء؛ جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس فيردُّ ذلك على العامة والخاصة «ولا يدّخر عنهم شيئاً» فكان من سيرته في جزء الأمّة: إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول:

«ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه، ثبّت الله قدميه يوم القيامة».

لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّاداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلّة فقهاء[1].

---

(١) الرواد: جمع رائد وهو الذي يتقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلاء. أي أنهم ينفعون بما يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله. لا يفترقون عن ذواق: أي عن علوم يذوقون من حلاوتها ما يذاق من الطعام المشتهى، والأدلة التي تدل الناس على أمور دينهم.

قال عليه السلام: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلّفهم ولا يفرّقهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذّر الناس من الفتن ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بِشره ولا خلقه، ويتفقّد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، فيحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكلّ حال عنده عتاد، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال عليه السلام: فسألته عن مجلسه فقال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل جلاله اسمه. ولا يوطّن الأماكن وينهى عن إيطانها. وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناس منه بسطة وخلقاً، وكان لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا توهن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته[1]، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى، متواضعون يوقّرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون ـ يحيطون ـ الغريب.

قال عليه السلام: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه، قال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق، ليّن لجانب، ليس بفظّ ولا

---

(١) لا تنثى فلتاته: أي من غلط فيه غلطة لم تشع ولا يتحدث بها. أي لم يكن في مجلسه زلات فتحفظ وتحكى.

غليظ ولا صخّاب[1] ولا فحاش، ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار ومما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوّلهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه[2]. ولا يقبل الثناء إلا عن مكافي[3]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام. قال عليه السلام: قلت: كيف كان سكوته؟ قال عليه السلام: كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله على أربعة: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تنكره فيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه، وجمع له الحذر في أربعة: أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده للرأي فيما أصلح أمّته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إني لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت خلّة من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأت بها»[5].

---

(١) الصَخب: الضجة واضطراب الأصوات.

(٢) الرفد: المعونة.

(٣) أي من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه، ومن استشعر منه نفاقاً وضعفاً في ديانته ألقى ثناءه عليه ولم يبال به.

(٤) مكارم الأخلاق: الباب الأول، الفصل الأول: في خُلقه وخَلقه وشمائله.

(٥) مكارم الأخلاق: الباب الأول: ص ٤١.

معجزات الرسول الخاتم ﷺ

إن كل من شاهد أحوال النبي ﷺ أو أصغى إلى استماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته لهم، وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته على أدق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن كل ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة ولا قوة بشرية، بل لا يتصوّر كل ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوّة إلهية، وأن ذلك كلّه أيضاً لا يتصور لكذّاب ولا ملبّس.

فلقد كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة على صدقه، حتى أن العربي القحّ كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذّاب، وكان يشهد له بالصدق بمجرد رؤية شمائله فكيف بمن شاهد أخلاقه ومارس أحواله. وإنما أوردنا بعض أخلاقه لكي تعرف محاسن الأخلاق، وليتنبّه لصدقه ﷺ وعلوّ منصبه ومكانته العظيمة عند الله. إذ إن الله تعالى آتاه جميع ذلك وهو رجل أمّي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قطّ في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً، فمن أين له محاسن الأخلاق والآداب، ومعرفة الفقه، فضلاً عن معرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك مما هو من خواص

البنوّة لولا صريح الوحي؟ فمن أين للبشر الاستقلال بذلك؟

وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصّل، وسنذكر جملة منها مما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب:

فقد خرق الله سبحانه وتعالى على يده العادة غير مرّة؛ إذ شقّ له القمر بمكة لما سألته قريش آية[1]، وأطعم ثمانين من أربعة أمداد من الشعير وعناق (وهو من أولاد المعز)[2]، ومرّة أطعم أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده[3]، ومرّة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يديها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم[4].

ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش[5]. وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط ﷺ يده فيه[6].

وأهرق مرّة وضوءه ﷺ في عين تبوك ولا ماء فيها، ومرّة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا، وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء[7].

ورمى الجيش بقبضة من التراب فعميت عيونهم، ونزل بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[8] وحنّ الجذع الذي

---

(١) أخرجه مسلم: ج ٨ ص ١٣٢.
(٢) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ٢٤.
(٣) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٣٤.
(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل.
(٥) أخرجه الدارمي من سننه: ج ١ ص ١٤.
(٦) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٣٤.
(٧) أخرجه مسلم: ج ٧ ص ٦٠.
(٨) أخرجه مسلم: ج ٥ ص ١٦٩، والآية في الأنفال: ١٧.

كان يخطب عليه لما عمل له منه المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل، فضمّه إليه حتى سكن[1] ولما دعا اليهود إلى تمني الموت؛ أخبرهمﷺ بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه[2].

وأخبر النبيﷺ عن الغيب فقال إن عماراً تقتله الفئة الباغية[3]، وأن الحسنعليه السلام يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[4]. وأخبرﷺ عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر بأنه قد قتل نفسه.

وتبعه مرّة سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له وانطلقت الفرس، وأنذره بأنه سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان ذلك[5].

وأخبر النبيﷺ بمقتل الأسود العَنَسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن، وأخبر بمن قتله[6].

وخرج على مائة من قريش ينتظرونه، فوضع التراب على رؤوسهم فلم يروه[7]. وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلّل له[8]. ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا[9]. ودعاﷺ النصارى إلى

---

(١) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٣٧.
(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ٢١٧.
(٣) أخرجه الحاكم: ج ٣ ص ٣٨٦.
(٤) أخرجه البخاري: ج ٥ ص ٣٢.
(٥) رواه الكليني في الكافي: ج ٨ ص ٢٦٣.
(٦) البخاري: ج ٥ ص ٢١٦.
(٧) الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٤٠.
(٨) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ١١.
(٩) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ١٣.

المباهلة فامتنعوا وأخبر أنهم إن فعلوا هلكوا، فعلموا صحّة قوله فامتنعوا[1].

وأتاه عامر بن طفيل وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام، فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما، فهلك عامر بغدّة، وهلك أربد لصاعقة أحرقته[2].

وأخبر صلى الله عليه وآله أنه يقتل أُبيّ بن خلف الجمحي عليه اللعنة، فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً كانت منيّته فيه[3].

وأطعم صلى الله عليه وآله السمّ فمات الذي أكل معه وعاش هو صلى الله عليه وآله بعده أربع سنين، وكلّمه الذِّراع المسموم[4].

وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع[5].

وأنذر بأن طوائف من أمّته يغزون في البحر فكان ذلك أيضاً[6].
وزويت له الأرض فأُري مشارقها ومغاربها، وأخبَر أن ملك أمّته سيبلغ ما زوي له منها[7]، فكان ذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتّسعوا في الجنوب ولا الشمال كما أخبر صلى الله عليه وآله.

وأخبر ابنته فاطمة عليها السلام بأنها أوّل أهله لحاقاً به، فكان ذلك[8].

---

(١) الدر المنثور: ج ٢ ص ٣٨.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير.
(٣) الطبري في التاريخ: ج ٢ ص ٢٠١.
(٤) أخرجه الدارمي: ج ١ ص ٣٣.
(٥) أخرجه مسلم: ج ٥ ص ١٧٠.
(٦) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٣٩.
(٧) مسلم: ج ٨ ص ١٧١.
(٨) أخرجه البخاري: ج ٤ ص ٢٤٨.

وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به، فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهنّ يداً بالصدقة وأوَّلهن لحاقاً به[1]. ومسح ﷺ على ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرّت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود، وفعل ذلك مرّة أخرى في خيمة أمّ معبد الخزاعية[2]. وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما[3]. وتفل في عين علي عليه السلام وهو أرمد يوم خيبر فصحّ في وقته، ثم بعثه بالراية[4]. وكانوا يسمعون تسبيح الطعام من بين يديه ﷺ[5].

وأصيبت رِجل بعض أصحابه فمسحهما بيده ﷺ فبرئت من حينها[6]. وقلّ زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا مليء من ذلك[7].

وحكى الحكم بن العاص عن مشيته ﷺ مستهزئاً فقال ﷺ: «كذلك فكن» فلم يزل يرتعش حتى مات[8].

ويد طلحة زال ما كان بها من شلل أصابها يوم أُحد حين مسحها بيده. ومما استفاض نقله عن طريق أهل البيت عليهم السلام إخباره ﷺ عن شهادة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأنه يضرب على رأسه في شهر رمضان فتخضب بدمه لحيته المباركة[9]. وبشهادة سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام،

---

(١) الحاكم في المستدرك: ج ٤ ص ٢٥.
(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٣٧٩.
(٣) مجمع الزوائد: ص ٢٩٧.
(٤) البخاري: ج ٥ ص ١٧١.
(٥) مسند أحمد: ج ١ ص ٤٦٠.
(٦) مسند أحمد: ج ٤ ص ٤٨.
(٧) أخرجه مسلم: ج ١ ص ٤٢.
(٨) أخرجه البيهقي في الدلائل.
(٩) رواه الصدوق في الأمالي: ص ٦٩.

وأن الحسن عليه السلام يسمُّ والحسين عليه السلام يقتل بأرض كربلاء بعد شهادة أصحابه وحيداً غريباً[1]. وبأنه تدفن بضعة منه صلى الله عليه وآله بطوس إشارة إلى مولانا الرضا عليه السلام[2]، وبأن الأئمة بعده اثنا عشر وتسميتهم بأسمائهم عليهم السلام، وبأن أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين[3]، وأن بعض أزواجه تبغي عليه وهي له ظالمة وأنه تنبح عندها كلاب حوأب[4] وبجميع الفتن التي وقعت بعده، وأنّ أبا ذرّ - رضي الله عنه - يموت وحيداً غريباً[5]، وبأن آخر رزق عمار من الدنيا صاع من لبن[6] إلى غير ذلك من الخصوصيات.

ومن معجزاته إطاعة الشمس له في التوقف عن الغروب مرّة وفي الطلوع بعد الغروب أخرى[7]، وإطاعة الشجرة بالإتيان حتى انقلعت من مكانها ووقفت بين يديه وسلمت عليه ثم رجعت بأمره إلى مكانها، كما هو مذكور في نهج البلاغة[8].

ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي عليه السلام وسخاوة حاتم. ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق، إذ تحدّى بها بلغاء الخلق وخصماء العرب وجزيرة العرب يومئذٍ مملوءة بالآلاف منهم، والفصاحة صَنْعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم. وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من

---

(١) رواه الصدوق في الأمالي: ص ٧١.
(٢) رواه الصدوق في العيون: ٣٦٢.
(٣) الصدوق في المعاني.
(٤) المعاني: ص ٣٧٥.
(٥) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٣١.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك: ج ٢ ص ٣٨٥.
(٧) الغدير: ج ٣ ص ١٢٦.
(٨) الخطبة القاصعة.

مثله أو بسورة من مثله إن شكوا وقال لهم ﷻ:

﴿لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

ولقد قال تعالى ذلك تعجيزاً لهم، حتى أقروا بالعجز وانصرفوا عنه وعرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه. ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً، قرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر دون أن يقدر أحد على معارضته. فما أعظم غباوة من ينظر في أحواله ثم في أفعاله ثم في أقواله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه، وما أعظم توفيق من آمن به وصدّقه واتّبعه!.

أخلاق الأئمة عليهم السلام
و
كراماتهم

مقدمة

بعد أن ذكرنا في القسم الأول من الكتاب آداب وأخلاق النبوّة ناسب أن نتبع ذلك بذكر أخلاق الإمامة وآداب الشيعة، إكمالاً لعلوم الدين وشكراً لما هدانا الله عز وجل من معرفة المقربين منه وخواصه المهديين. إذ للإمام عليه السلام أخلاق ربانية شريفة لم يشركه فيها سائر الخلق، وصفات كريمة خصّه الله بها، ولمن عرفه بحقّه وحقيقته، وشيّعه على طريقته، فصارت له علامات امتاز بها عن سائر المؤمنين استحق بها أن يحشر مع إمامه في درجة النبيين.

فكان من الواجب على العبد بعد معرفة الله عز وجل وصفاته ومعرفة نبيّه صلى الله عليه وآله وأخلاقه، أن يعرف إمام زمانه وصفاته وأخلاقه المختصّة به، وذلك بأن يعلم مقامه ومرتبته عند الله، ويعرف شخصه من بين الخلق حتى يتبعه ويقتفي أثره ويطيعه في أوامره ويصير من شيعته.

فقد ورد في الحديث المستفيض المشهور بين الخاصة والعامة:

«إن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] كما عليه أن يتعرف آداب شيعته عليهم السلام وسماتهم المختصّة بهم حتى يعرف بذلك مقام أهل الله وخاصته ومقرّبي حضرته، ويعرف أشخاصهم بأعيانهم فيتشبّه

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٧٦.

بهم ويقتدي بهديهم ويدخل في حزبهم، إذ هم المقصودون من الخلق بعد الإمام والباقون إنما خلقوا لأجلهم.

وفي هذا القسم من الكتاب نهدف إلى أن نكشف عن مقام الإمام وفضيلته ومرتبته عند الله ﷻ، من خلال ذكر الصفات والسمات المختصة به عليه السلام. ثم نورد طرفاً من أخلاق أئمتنا صلوات الله عليهم وفاطمة الزهراء عليها السلام، وصفاتهم وكراماتهم واحداً واحداً، ثم نذكر صفات شيعتهم وآدابهم وأخلاقهم وعلاماتهم وبعض فضائلهم، ثم نأتي بكلام جامع وضابطة كلية في تحقيق معنى الإمام ومعنى الشيعة وتقسيم الناس بهذا الاعتبار على وجه كلي.

فضل الإمام وصفاته

عن عبد العزيز بن مسلم قال:

«كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأرادوا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسّم» عليه السلام ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله تعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1]، وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[2].

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عليه السلام حتى بيّن لأمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) المائدة: ٣.

قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليّاً صلوات الله عليه عَلَماً وإماماً وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلا بيّنه، فمن زعم أن الله تعالى لم يكمّل دينه فقد ردّ كتاب الله تعالى ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم؟!

إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم. إن الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل صلوات الله عليه بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره فقال:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (فقال الخليل عليه السلام سروراً بها): ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريّته أهل الصفوة والطهارة؛ فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورّثها الله تعالى النبي ﷺ فقال جل وتعالى:

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٢ و٧٣.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[١].

فكانت له خاصة فقلّدها عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾[٢]. فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟!

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين صلوات الله عليهم.

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين. إن الإمامة أُسُّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلُّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة.

---

(١) آل عمران: ٦٨.

(٢) الروم: ٥٦.

الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدُجى وأجواز[1] البلدان والقفار ولجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظماء، والدالُّ على الهدى، والمنجي من الرَّدى. الإمام النار على اليفاع[2] الحارّ لمن اصطلى به، والدليل في المهالك من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل[3]، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة والأرض البسيطة، والعين الغزيرة والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البَرَّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد[4].

الإمام أمين الله في خلقه وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذّاب عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب، والمبرَّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

---

(١) الغيهب: الظلمة وشدة السواد. الأجواز: جمع جوز: وهو من كل شيء وسطه.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض، التلّ.

(٣) الهاطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٤) الداهية: الأمر العظيم، والنآد - كسحاب - بمعناها.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهاب. فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسِئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنّى وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم، كذّبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الأباطيل[1] فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلُّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بعداً. قاتلهم الله أنّى يؤفكون، ولقد راموا صعباً[2] وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن

(١) منتهم الأباطيل: أي أوقعت في أنفسهم الأماني الباطلة أو أضعفتهم.

(٢) رام الشيء: أراده.

بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2].

وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4] أم ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[5] أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) القلم: ٣٦ ـ ٤١.

(٤) محمد: ٢٤.

(٥) التوبة ٨٧.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[2] بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالمٌ لا يجهل، وراع لا ينكل[3]، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهّرة التبول، لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذِّروة من هاشم، والعترة من الرسول والرضا من الله ﷻ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة[4] عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله ﷻ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[6] وقوله في طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

---

(1) الأنفال: ٢١ ـ ٢٣.
(2) البقرة: ٩٣.
(3) راع: حافظ للأمة، لا ينكل: لا يضعف ولا يجبن.
(4) اضطلع: قوي.
(5) يونس: ٣٥.
(6) البقرة: ٢٦٩.

﴿ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2].

وقال في الأئمة من أهل بيت نبيّه وعترته وذريته صلوات الله عليهم:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾[3] وإن العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعيَ بعده بجواب، ولا يحيد فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلَّل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدِّمونه، تعدّوا ـ وبيت الله ـ الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمّهم الله ومقتهم

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) النساء: ٥٤ و٥٥.

وأتعسهم فقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[2]. وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[3]، «وصلّى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً»[4].

وعن الإمام الصادقعليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمةعليهم السلام وصفاتهم يقول:

«إن الله تعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيناصلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم سبيل منهاجه، وفتح بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمّة محمدصلى الله عليه وآله واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه[5] لأن الله تعالى نصب الإمام عَلماً لخلقه، وجعله حجة على أهل موادّه وعالمه[6] وألبسه الله تعالى تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبار، يمدّ بسبب إلى السماء، ولا ينقطع عنه موادّه، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته».

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) محمد: ٨، التعس: العلاك.

(٣) المؤمن: ٣٥.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٩٨، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

(٥) الطلاوة: الحسن والبهجة والقبول.

(٦) أهل مواده: أهل زياداته المتصلة وتكميلاته المتواترة غير المنقطعة.

فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدُّجى، ومعمّيات السنن، ومشبّهات الفتن، فلم يزل الله تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم كلما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً علَماً بيّناً وهادياً نيّراً وإماماً قيّماً وحجة عالماً. أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، ويستهلُّ بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد[1]، جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتخب المرتضى، والهادي المنتجى[2] فالقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذّر حين ذرأه وفي البريّة حين برأه ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه محبوّاً بالحكمة[3] في علم الغيب عنده.

اختاره بعلمه وانتجبه لطهره، بقيّة من آدم وخيرة من ذرّية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل عليه السلام، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله، لم يزل مرعياً بعين الله يحفظه ويكلأه بستره، مطروداً عنه

(١) يستهلّ: يتنوّر. التلاد: المال القديم.
(٢) المنتجى: صاحب السرّ، اصطنعه على عينه: اختاره على شهود منه لحاله.
(٣) محبوّاً بالحكمة: منعماً عليه بالحكمة.

حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الفواسق، ونفوث كل فاسق، مصروفاً عنه توارف السوء[1] مبرَّءاً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلات، مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبرّ في يفاعه[2]، منصوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن النطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى حجّته، وبلغ منتهى والده، فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده دينه، وجعله الحجة على عباده وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصّبه علماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته[3] واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره. وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع، بالحق الأبلج، والبيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي،

---

(١) الوقوب: دخول الظلام. الغاسق: الليل المظلم، النفوث: النفخ، القرفة: التهمة.

(٢) يفاعه: أوائل سنه.

(٣) استخبأه: أودع عنده وأمره بالكتمان. استرعاه لدينه: اعتنى بشأنه.

ولا يجحده إلا غويٌّ، ولا يصدُّ عنه إلا جريٌّ على الله جل وعلا»[1].

وعن أبي بصير قال:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] فقال عليه السلام: نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام. فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله؟ فقال عليه السلام:

قولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم. ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً درهمٌ حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم. ونزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ نزلت في عليّ والحسن والحسين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقال صلى الله عليه وآله: «أوصيكم بكتاب الله تعالى وأهل بيتي فإني سألت الله تعالى أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك»، وقال: «لا تعلّموهم فهم أعلم منكم» وقال: «إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة». فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبيّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله تعالى أنزل

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) النساء: ٥٩.

في كتابه تصديقاً لنبيّه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمةعليهم السلام، فأدخلهم رسول اللهﷺ تحت الكساء في بيت أمّ سلمة ثم قال: اللهم إن لكل نبيّ أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أمّ سلمة: ألست من أهلك: فقال: إنك إلى خير. ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

فلما قبض رسول اللهﷺ كان عليّعليه السلام أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول اللهﷺ وإقامته للناس وأخذه بيده، فلما مضى عليّ لم يكن يستطيع عليعليه السلام ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن علي ولا العباس ابن علي ولا واحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسينعليهما السلام: إن الله تعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وإذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك، فلما مضى عليّ كان الحسن أولى بها لكبره فلما توفيعليه السلام لم يستطع أن يدخل ولده، ولم يكن ليفعل ذلك والله تعالى يقول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيجعلها في ولده؛ إذاً لقال الحسينعليه السلام: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلّغ فيّ رسول اللهﷺ كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك، فلما صارت إلى الحسينعليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه لو أرادا

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

أن يصرفا الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلا، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ثم صارت من بعد الحسين لعليّ بن الحسين ثم صارت من بعد عليّ بن الحسين إلى محمد بن علي عليهما السلام، وقال: الرجس هو الشك والله لا نشك في ربنا أبداً»[1].

إذا الله عز وجل فرض على الناس كافة طاعة الأئمة عليهم السلام، كما فرض عليهم طاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله حين قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

فلا يسع الناس إلا معرفتهم، ولا يعذر الناس بجهالتهم، من عرفهم كان مؤمناً ومن أنكرهم كان كافراً، ومن لم يعرفهم ولم ينكرهم كان ضالاً، حبّهم إيمان وبغضهم كفر، وهم شهداء الله في خلقه في قوله عز وجل:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[2].

وهم الهداة في قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3].

وهم ولاة أمر الله وخزنة علمه وعيْبَة وحيه، وإن جبرائيل عليه السلام أنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله بأسمائهم وأسماء آبائهم، وإنّ لهم نطقت الشجر،

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٨٦.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) الرعد: ٧.

وبعبادتهم عُبد الله ولولاهم ما عبد الله، وهم خلفاء الله في أرضه وأبوابه التي يؤتى منها.

ولولاهم ما عرف الله، وبهم احتجّ الله على خلقه، وهم نوره وإن نور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمن يشاء فيظلم قلوبهم. جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وعمد الإسلام، ورابطة على سبيل هداه. لا يهتدي هاد إلا بهداهم، ولا يضلّ خارج من الهدى إلا بتقصير في حقهم. وهم أمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر، وأنهم المحسودون في قوله ﷻ:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وهم العلامات التي ذكرها الله بقوله:

﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]، والنجم هو رسول الله ﷺ.

وهم الآيات التي ذكرها الله في قوله:

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، والنذر هم الأنبياء عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾[3]. وهم الصادقون في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[4]. وهم هل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

وهم الراسخون في العلم في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) النحل: ١٦.
(٢) يونس: ١٠١.
(٣) القمر: ٤٢.
(٤) التوبة: ١٢٠.
(٥) النحل: ٤٥.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(١). وهم الذين أوتوا العلم في قوله ﷻ: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾(٢). وهم المتوسّمون في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾(٣). وهم المؤمنون الذين تعرض عليهم أعمال العباد كل يوم وليلة أبرارها وفجّارها في قوله ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾(٤). وهم شجرة النبوة. وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعة الله في عباده، وحرم الله الأكبر، وذمّة الله، وعهد الله.

وهم ورثة علم النبي ﷺ وسائر الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم. وإنّ عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله تعالى، وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها. وهم الذين جمعوا القرآن كلّه، وهم الذين يعلمون علمه كله، ولو وجدوا أوعية أو مستراحاً لقالوا.

وعندهم خبر السماء والأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، ولو ستر عليهم لأخبروا كل امرىء بما له وما عليه. وهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم. وهم عندهم من الاسم الأعظم اثنين وسبعين حرفاً وتمامه ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنما حجب عنهم حرف واحد. وكان قد أعطى آصف بن برخيا منه حرف واحد، وعيسى عليه السلام حرفان، وموسى عليه السلام أربعة حروف، وإبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، ونوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وآدم عليه السلام خمسة وعشرين حرفاً.

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) العنكبوت: ٤٨.

(٣) الحجر: ٧٥.

(٤) التوبة: ١٠٦.

وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنهم ليعرفون الرجل إذا رأوه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتهم لمكتوبون عندهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. أخذ الله عليهم وعلى شيعتهم الميثاق، يردون موردهم ويدخلون مدخلهم. وليس على ملّة الإسلام غيرهم وغير شيعتهم. وهم النجباء النجاة، أفراط الأنبياء والأوصياء، المخصوصون في كتاب الله، أولى الناس بكتاب الله، وأولى الناس برسول الله ﷺ. عندهم آيات الأنبياء عليهم السلام مثل ألواح موسى وعصاه، والطست الذي كان يقرِّب به القربان، وخاتم سليمان وسلاح رسول الله ﷺ ومتاعه من السيف والدرع والعنزة، وذي الفقار وغير ذلك. ومثل السلاح فيهم كمثل التابوت في بني إسرائيل، فقد كان بنو إسرائيل في أيِّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة،، فمن صار إليه السلاح منهم أوتي الإمامة. وعندهم الجفر والجامعة ومصحف فاطمة، وليلة القدر لهم خاصة، وإنما تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم عليهم خاصة، وهم يزدادون فيها علماً. وهم الذين إذا شاؤوا أن يعلموا شيئاً علّمهم الله ذلك، وهم يعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيار منهم. وأن رسول الله ﷺ فوّض إليهم أمر الدين كما فوّض الله إليه ذلك حيث قال:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[1] وإن مثلهم مَثَل ذي القرنين وصاحب سليمان وصاحب موسى حيث لم يكونوا أنبياء ولكن كانوا علماء. وهم يكلمون الناس بكل لسان ولا يخفى عليهم كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا ذي روح. وهم محدّثون مفهّمون يسمعون صوت الملك ولا يرون شخصه. وإن معهم الروح وهو خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ

---

(١) الحشر: ٧.

يخبره ويسدّده وهو مع سائر الأنبياء عليهم السلام من بعده وإن الملائكة تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار، وربما يلتقطون من زغبها[1]. وأن الجن يأتونهم فيسألونهم من معالم دينهم ويخدمونهم.

وهم عليهم السلام لم يفعلوا ولا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله وأمر منه لا يتجاوزونه، وإن كلاً منهم يعرف الذي بعده، وكلهم منصوص عليه بالإمامة من الله سبحانه ومن الذين جاؤوا قبله. وكلهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء، إلا أن لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما. وإنّ أبدانهم خلقت من عليّين وأرواحهم من فوق ذلك، وخلقت أرواح شيعتهم من عليين وأبدانهم من دون ذلك. وأن مستقى العلم من بيتهم، وإنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عندهم، وكل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل.

وإن حديثهم صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

وإن الأرض كلها للإمام، وإذا ظهر أمره حكم بحكم داود وآل داود عليه السلام. لا يسأل البيّنة، وقسّم بالسوية وعدل في الرعيّة وقدّر نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره، بل يقتدي الفقير بفقره ولا يطغى الغني بغناه. أب لليتامى وزوج للأرامل.

(١) الزَغَب: صغار الشعر ولينه حين يبدو من الصبي، وأيضاً هو الريش أول ما ينبت.

خلقة الإمام علي عليه السلام

اشتهر الإمام علي عليه السلام بالأنزع البطين والمعنى؛ يقال: نزع إلى أهله أي اشتاق، ونزع عن الأمور نزوعاً أي انتهى عنها، أي نزعت نفسه عن ارتكاب الشهوات فاجتنبها، ونزعت إلى اجتناب السيئات فسدّ عليها مذهبها، ونزعت إلى اكتساب الطاعات فأدركها، ونزعت إلى استصحاب الحسنات فارتدى بها وتجلببها.

وامتلأ عليه السلام علماً فلقب بالبطين، فأظهر بعضاً وأبطن بعضاً حسبما اقتضاه علمه الذي عرف به الحقّ اليقين.

أما ما ظهر من علومه فأشهر من الصباح وأسير في الآفاق من سرى الرياح، وأما ما بطن فقد قال عليه السلام:

«بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»[1].

ومما اشتهر من صفته عليه السلام أنه كان رَبعة[2] من الرجال أدعج[3] العينين حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حُسناً، عريض المنكبين، شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، قوي شجاع.

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣ ونهج البلاغة.

(٢) الرَبع: الوسيط القامة.

(٣) أدعج العينين: الدُعجة: سواد العين مع سعتها.

أخلاق أمير المؤمنين علي عليه السلام وصفاته

كان الإمام علي عليه السلام أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم[1] على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة وأكرمهم على رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوي حين ضعف أصحابه، وبرز حين استكانوا، ونهض حين وهنوا، ولزم منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله، كان خليفته حقاً، لم ينازع رغم نفاق المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وضغن الفاسقين.

فقام بالأمر حين فشلوا، ونطق حين تتعتعوا[2]، ومضى بنور الله إذا وقفوا، كان أقلّهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكبرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدهم يقيناً، وأحسنهم عملاً وأعرفهم بالأمور.

كان عليه السلام للدين يعسوباً[3]، أوّلاً حين تفرّق الناس، وآخره حين فشلوا، كان للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليه عيالاً، فحمل أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظ ما أضاعوا، ورعى ما أهملوا، وشمّر إذا اجتمعوا، وشهد إذ جمعوا وعلا إذ هلعوا[4] وصبر إذ جزعوا.

---

(١) أي أشدهم حياطة وحفظاً وخيانة وتعهداً.

(٢) التعتعة في الكلام: التردد فيه.

(٣) اليعسوب: أمير النحل وذكرها، والرئيس الكبير.

(٤) الهلع: الجبن حين لقاء العدو والجزع.

كان صلوات الله وسلامه عليه على الكافرين عذاباً صباً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً، لم تفلل حجّته، ولم يزغ قلبه، ولم تضعف بصيرته، ولم تجبن نفسه ولم يهن.

كان كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، وكان كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنه، قويّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسه، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيه مهمز، ولا لقائل فيه مغمز[١]، ولا لأحد فيه مطمع، ولا لأحد عنده هوادة[٢].

الضعيف الذليل عنده قويّ عزيز حتى يأخذ له بحقّه. والقوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ منه الحقّ. والقريب والبعيد عنده سواء، شأنه الحق والصدق والرفق، وقوله حكمٌ وحتمٌ، وأمره حلمٌ وحزمٌ، ورأيه علم وعزم. اعتدل به الدِّين، وسَهُل به العسير، وأطفئت به النيران، وقوي به الإيمان، وثبت به الإسلام والمؤمنون.

كان للمؤمنين كهفاً حصيناً وعلى الكافرين غلظة وغيظاً[٣]. وكان عليه السلام بعيد المدى، شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته. وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب[٤]. يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القويُ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

---

(١) الهمز: الغيبة وذكر العيوب. الغمز: الإشارة بالعين أو الحجاب أو اليد.

(٢) الهوادة: السكون والرخصة والمحاباة.

(٣) راجع الكافي: ج ١ ص ٤٥٤.

(٤) الجشب من الطعام: الغليظ وما ساء منه.

قال ضرار بن ضمرة: كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله من تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلمه هيبة له. أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين وهو يقول: «يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرَّضت، أم إليّ تشوَّفت، هيهات هيهات قد أَبَنْتُكِ[1] ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه من قلّة الزاد للسفر، ووحشة الطريق»[2].

وعن رسول الله ﷺ قال:

«يا عليّ إن الله زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحب إليه منها، زهّدك فيها وبغّضها إليك، وحبّب إليك الفقراء فرضيت بهم اتباعاً ورضوا بك إماماً. يا علي طوبى لمن أحبك وصدق عليك والويل لمن أبغضك وكذب عليك. أما من أحبك وصدق عليك فإخوانك في دينك وشركاؤك في جنّتك، وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذّابين»[3].

وقال النبي ﷺ:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4].

---

(١) أَبَنْتُك: طلقتك.

(٢) راجع كشف الغمة: ص ٢٣.

(٣) كشف الغمة: ص ٤٧.

(٤) كشف الغمة: ص ٣٣.

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وروي أن علياً عليه السلام آجر نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخلاً بشيء من الشعير، فلما قبضه طحن ثلثه واتخذ هو وأهل بيته منه طعاماً، فلما تمّ أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، وعملوا الثلث الثاني فأتاهم يتيم فأخرجوه إليه، وعملوا الثلث الثالث فأتاهم أسير فأخرجوا الطعام إليه، وطوى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فعلم الله حسن مقصدهم وصدق نياتهم وإنهم إنما أرادوا بما فعلوه وجهه وطلبوا بما أتوا ما عنده والتمسوا الجزاء منه عزّ وجلّ فأنزل الله فيهم قرآناً، وأولاهم من لدنه إحساناً، ونشر لهم من العالمين ديواناً، وعوّضهم عما بذلوا جناناً، وحوراً وولداناً فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[2] وروي أيضاً أن علياً عليه السلام كان يملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً وبدرهم وعلانية، فأنزل الله سبحانه فيه:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

وروي أن علياً عليه السلام دخل السوق وهو أمير المؤمنين فاشترى قميصاً بثلاثة دراهم ونصف، فلبسه في السوق فطال أصابعه فقال للخياط: قصّه فقصّه، وقال الخياط: أحوصه[4] يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ومشى

---

(١) كشف الغمة: ص ٣٣.

(٢) كشف الغمة: ص ٤٩.

(٣) كشف الغمة: ص ٥١.

(٤) أحوصه: من الحوص وهي الخياطة.

والدّرة على كتفه وهو يقول: «شرعك ما بلّغك المحلاّ، شرعك ما بلّغك المحلاّ»[1].

وروي أنه عليه السلام خرج ذات يوم وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه، فقال عليه السلام: «يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه علي»[2] واشترى عليه السلام يوماً ثوبين غليظين فخيّر قنبر فيهما فأخذ واحداً ولبس عليه السلام الآخر، ورأى في كمّه طولاً عن أصابعه فقطعه[3]. وخرج عليه السلام يوماً إلى السوق ومعه سيفه ليبيعه فقال:

«من يشتري مني هذا السيف فوالذي خلق الحبّة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان عندي ثمن إزار لما بعته»[4].

---

(١) شرعك: حسبك، وهو عبارة عن مثل يضرب في التبليغ باليسير.

(٢) كشف الغمة: ص ٥٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

شجاعة عليّ وبأسه

إن شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وبأسه ومصادمته الأقران وشدته وثبات جأشه حيث تزلزل الإقدام، وشدّة صبره حين تطير فراخ الهام، وسطوته وقلوب الشجعان واجفة واستقراره وأقدام الأبطال راجفة، ونجدته عند انخلاع القلوب من الصدور، وبسالته ورحى الحرب تدور والدماء تفور، ونجوم الأسنّة تطلع وتغور، وحماسته والموت قد كشّر عن نابه، وسماحته بنفسه والجبان قد انقلب على أعقابه، وكشفه عليه السلام الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فرّ من فرّ من أصحابه، وبذله روحه العزيزة رجاء ما أعدّ الله من ثوابه، وكل ذلك قد اشتهر وشاع عنه عليه السلام. فعرفه من بقي ومن غبر، وتضمّنته الأخبار والسير، فاستوى في العلم به البعيد والقريب، واتفق على الإقرار به البغيض والحبيب، وصدّق به عند ذكره الأجنبي والنسيب. فارس الإسلام وأسده، وباني ركن الإيمان ومشيّده. مفرّق جموع الكفار، حاصد خضرائهم بذي الفقار، ومخرجهم من ديارهم إلى المفاوز والقفار. مضيف الطير والسباع يوم الملحمة والقراع. سيف الله الماضي ونائبه المتقاضي، وآيته الواضحة وبينته اللائحة، وحجته الصادعة، ورحمته الجامعة، ونعمته الواسعة، ونقمته الوازعة، قد شهدت بدر بمقامه، وكانت حنين من بعض أيامه، وسل أحداً عن فعل قناته وحسامه، ويوم خيبر إذ فتح الله على يديه، ويوم الخندق إذ خرَّ عمرو لفمه ويديه.

وهذه جمل لها تفصيل وبيان، ومقامات رضي بها الرحمان، ومواطن هدّت الشرك وزلزلته وحملته على حكم الصغار وأنزلته، ومواقف كان فيها جبرئيل يساعده وميكائيل يؤازره ويعاضده، والله يمدّه بعناياته، والرسول يتبعه بصالح دعواته، وقلب الإسلام يرجف عليه، وأمداد التأييد تصل إليه.

خطب الحسن بن علي عليه السلام فقال:

«لقد فارقكم بالأمس رجل لم يسبقه الأوّلون بعلم ولم يدركه الآخرون بعمل، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه بالراية جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يفتح له»[1].

وفي حديث آخر:

«ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يرصدها لخادم أهله»[2].

ومن آيات الله الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال ما عرف لأمير المؤمنين عليه السلام من كثرة ذلك على مرّ الزمان. ثم أنه لم ينله عليه السلام مع طول مدّة زمان حربه جراح من عدوّه ولا وصل إليه أحد منهم بسوء حتى كان من أمره مع ابن ملجم لعنه الله على اغتياله ما كان. وهذه أعجوبة أفرده الله تعالى بالآية فيها وخصّه بالعلم الباهر في معناها. ودَلّ بذلك على مكانه منه وتخصّصه بكرامته التي بان بفضلها عن كافة الأنام.

فمن آيات الله تعالى فيه عليه السلام أنه لا مرية في ظفره بكل قرن بارزه

---

(١) كشف الغمة: ص ٥١.

(٢) المصدر السابق.

وإهلاكه كل بطل نازله، وهذا مما انفرد عليه السلام به عن كافة الأنام وخرق الله به العادة في كل حين وزمان وهو من دلائله الواضحة، فهو عليه السلام مع طول ملاقاته الحروب وملابسته إياها، ومع كثرة ما مُني به من تجمع شجعان الأعداء وصناديدهم عليه، واحتيالهم في الفتك به، وبذل الجهد في ذلك إلا أنه ما ولّى قطّ عن أحد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحد منهم ولا تزحزح عن مكانه، ولا هاب أحداً من أقرانه، ولم يلق أحد سواه خصماً في الحرب إلا وثبت حيناً وانحرف أخرى، وأقدم على عدوّه وقتاً وأحجم عنه زماناً إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام. وإذا كان الأمر كما وصفناه ثبت ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة والمعجزة الظاهرة، وخرق العادة فيه، بما دلّ الله وكشف به عن فرض طاعته عليه السلام، وأبانه بذلك عن كافة خليقته.

كرامات الأمير عليه السلام

من كرامات أمير المؤمنين علي عليه السلام وما جرى على لسانه من الأخبار بالمغيّبات إخباره عليه السلام بحال الخوارج المارقين؛ وذلك أنهم لما اجتمعوا وأجمعوا على قتاله وركب عليه السلام إليهم لقيه فارس يركض فقال: يا أمير المؤمنين إنهم سمعوا بمكانك فعبروا النهروان، فقال له عليه السلام: أنت رأيتهم عبروا؟ قال: نعم. فقال عليه السلام: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله لا يعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتى يقتل مقاتلهم على يدي، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة، فركب وقاتلهم، وجرى الأمر على ما أخبر عليه السلام.

ـ ومن كراماته عليه السلام: أنه عليه السلام لما قدم الكوفة وفد عليه الناس وكان فيهم فتى فصار من شيعته يقاتل بين يديه، فخطب امرأة من قوم فزوّجوه، فصلى عليه السلام يوماً الصبح وقال لبعض من عنده: اذهب إلى موضع كذا تجد مسجداً إلى جانبه بيت فيه صوت رجل وامرأة يتشاجران فأحضرهما إليّ، فمضى وعاد وهما معه، فقال لهما: فيم طال تشاجركما اللّيلة؟ فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة خطبتها وتزوجها فلما خلوت بها وجدت في نفسي منها نفرة منعتني أن ألمَّ بها، ولو استطعت إخراجها ليلاً لأخرجتها قبل النهار، فنقمت على ذلك وتشاجرنا إلى أن ورد أمرك فصرنا إليك. فقال عليه السلام لمن حضر: ربّ حديث لا يؤثر من يخاطب به أن يسمعه غيره، فقام من كان حاضراً ولم يبق عنده غيرهما، فقال لها

علي عليه السلام: أتعرفين من هذا الفتى؟ فقالت: لا، فقال: إذا أنا أخبرتك بحاله تعلمينها فلا تنكريها؟ قالت: لا يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام: ألست فلانة بنت فلان؟ قالت: بلى، قال: ألم يكن لك ابن عم وكلٌّ منكما راغب في صاحبه؟ قالت: بلى، قال: أليس أن أباك منعك عنه ومنعه عنك ولم يزوّجه بك وأخرجه من جواره لذلك؟ قالت: بلى، قال: أليس خرجت ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك وأكرهك ووطأك، فحملت فكتمت أمرك عن أبيك وأعلمت أمّك، فلما آن الوضع أخرجتك أمك ليلاً فوضعت ولداً فلففته في خرقة وألقيته من خارج الجدران حيث قضاء الحوائج، فجاء كلب فشمّه فخشيت أن يأكله فرميته بحجر فوقعت في رأسه فشجّته فعدت إليه أنت وأمك فشدّت رأسه أمك بخرقة من جانب مرطها، ثم تركتماه ومضيتما ولم تعلما حاله فسكتت، فقال لها: تكلمي بحق، فقالت: بلى والله يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر ما علمه مني غير أمي، فقال عليه السلام: قد أطلعني الله عليه فأصبح وأخذه بنو فلان فربّي فيهم إلى أن كبر وقدم معهم الكوفة وخطبك وهو ابنك، ثم قال للفتى: اكشف رأسك فكشفه فوجد أثر الشجّة، فقال عليه السلام: هذا ابنك قد عصمه الله مما حرّمه عليه فخذي ولدك وانصرفي فلا نكاح بينكما[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام ما رواه الحسين بن ذكوان الفارسي قال: كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد شكا إليه الناس زيادة الفرات وأنها قد أهلكت مزارعهم ونحبّ أن تسأل الله أن ينقصه عنا. فقام ودخل بيته والناس مجتمعون ينتظرونه، فخرج وعليه جُبّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمامته وبرده وفي يده قضيبه، فدعا بفرسه وركب فمشى ومعه أولاده والناس وأنا منهم رجّاله حتى وقف على الفرات، فنزل عن فرسه وصلى ركعتين خفيفتين ثم قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر

(١) المناقب: باب إخباره بالغيب ج ٢ ص ٢٦٦.

وليس معه سوى الحسن والحسين عليهما السلام وأنا فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقصت الفرات ذراعاً فقال عليه السلام: أيكفيكم؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين، فقام فأومأ بالقضيب وأهوى به إلى الماء فنقصت الفرات ذراعاً آخر هكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع فقالوا: حسبنا يا أمير المؤمنين فركب فرسه وعاد إلى منزله[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام إخباره بقصة قتله، وذلك أنه لما فرغ من قتال الخوارج عاد إلى الكوفة في شهر رمضان فأمّ المسجد فصلّى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسناء ثم التفت إلى ابنه الحسن فقال: يا أبا محمد كم مضى من شهرنا هذا؟ فقال: ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين، ثم سأل الحسين فقال: يا أبا عبد الله كم بقي من شهرنا هذا؟ فقال: سبع عشرة يا أمير المؤمنين، فضرب يده على لحيته وهي يومئذٍ بيضاء فقال: ليخضبنّها بدمي إذا انبعث أشقاها. ثم قال:

أريد حباءة (حياته) ويريد قتلي ... عذيري من خليلي من مرادِ

وعبد الرحمن بن ملجم المراديّ يسمع فوقع في قلبه من ذلك شيء فجاء حتى وقف بين يدي علي عليه السلام وقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعهما أو فاقتلني، فقال علي عليه السلام:

فكيف أقتلك ولا ذنب لك إليّ ولو أعلم أنك قاتلي لم أقتلك ولكن هل كانت لك حاضنة ـ يهودية ـ فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فسكت عليّ عليه السلام. ولما كانت ليلة تسع عشرة من الشهر قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح وقال: إن قلبي ليشهد أني مقتول في هذا الشهر فتعلق الباب بمئزره فجعل ينشد:

---

(١) كشف الغمة: ص ٨٠.

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

فخرج فقتل صلوات الله وسلامه عليه[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام إخباره ميثم التمار بحاله وصلبه وموضعه والنخلة التي يصلب عليها والقصة مشهورة[2].

ـ ومن كراماته عليه السلام أن الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه فقطع عطاء قومه، فلما رأى ذلك قال: إني شيخ كبير قد نفد عمري فلا ينبغي لي أن أحرم قومي عطيّاتهم. فخرج إلى الحجاج فقال له: قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف على أنيابك فما بقي من عمري إلا القليل فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أنك قاتلي، فضرب عنقه[3].

ـ ومن كراماته عليه السلام أن الحجاج قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرّب إلى الله بدمه. فقيل له: ما نعلم أحداً أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه فطلبه فأُتي فقال: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال الله مولاي وأمير المؤمنين عليّ مولى نعمتي، قال: إبرَأ من دينه، قال: دلّني على دين أفضل منه. قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك، قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال: لم، قال: لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام: أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ، فأمر بذبحه[4].

---

(١) كشف الغمة: ص ٨٠.

(٢) مدينة المعاجز: البحراني ج ١ ص ١١٩.

(٣) كشف الغمة: ص ٨١.

(٤) المصدر السابق.

ـ ومن كراماته عليه السلام أنه قال للبراء بن عازب: «يا براء يقتل ابني الحسين وأنت حيّ لا تنصره». فلما قتل الحسين عليه السلام قال البرّاء: صدق علي عليه السلام، قتل الحسين ولم أنصره، وأظهر الحسرة على ذلك والندم[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام أنه وقف في كربلاء في بعض أسفاره ناحية من عسكره فنظر يميناً وشمالاً واستعبر باكياً، ثم قال: هذا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم، فقيل: يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ فقال: هذا كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنّة بغير حساب ثم سار ولم يعرف الناس تأويل قوله حتى كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان[2].

ـ ومن كراماته عليه السلام ما رواه الناس أنه عليه السلام لما توجّه إلى صفين واحتاج أصحابه إلى الماء والتمسوه يميناً وشمالاً فلم يجدوه، فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادة قليلاً فلاح له دير في البريّة، فساروا إليه وسأل من فيه عن الماء فقالوا: بيننا وبين الماء فرسخان وما هنا منه شيء، وإنما يجلب لي من بُعد وأستعمله على التقتير ولولا ذلك لمتّ عطشاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اسمعوا ما يقول الراهب، فقالوا: تأمرنا أن نسير إلى حيث أومأ إلينا لعلنا ندرك الماء وبنا قوّة. فقال عليه السلام: لا حاجة لكم إلى ذلك ولوى عنق بغلته نحو القبلة وأشار إلى مكان بقرب الدير أن اكشفوه، فكشفوه فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي فقال: هذ صخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء. فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وصعب الأمر عليهم. فلما رأى عليه السلام ذلك لوى رجله عن سرجه، وحسر عن ساعده، ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها وقلعها بيده

(١) كشف الغمة: ص ٨١.

(٢) المصدر السابق.

ودحا بها أذراعاً كثيرة فظهر لهم الماء، فبادروه وشربوا وكان أعذب ماء شربوه في سفرهم وأبرده وأصفاه، ثم قال عليه السلام: تزوّدوا وارتووا، ففعلوا ذلك، ثم جاء إلى الصخرة فتناولها ووضعها حيث كانت وأمر أن يعفى أثرها بالتراب، والراهب ينظر من فوق ديره فنادى يا قوم انزلوني، فأنزلوه فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا هذا أنت نبي مرسل؟ قال عليه السلام: لا، قال الراهب: فملكٌ مقرّب؟ قال عليه السلام: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصيّ رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين ﷺ، قال: إبسِط يدك أُسلِم على يدك فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له: إشهد الشهادتين، فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أنك وصي رسول الله وأحقّ الناس بالأمر من بعده فأخذ عليه شرائط الإسلام وقال:

ما الذي دعاك إلى الإسلام بعد إقامتك على دينك طوال المدّة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا الدّير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى على ذلك عالم قبلي ولم يدركوا ذلك، فرزقنيه الله عزّ وجلّ، إنا نجد في كتبنا ونأثر عن علمائنا أن في هذا الموضع عيناً عليها صخرة لا يعرفها إلا نبي أو وصيّ نبيّ وأنه لا بدّ من ولي لله يدعو إلى الحق آتاه الله معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته على قلعها، ولما رأيتك قد فعلت ذلك تحقّق ما كنّا ننتظره وبلغت الأُمنية، وأنا اليوم مسلم على يدك، ومؤمن بحقك ومولاك. فلما سمع أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بكى حتى اخضلّت لحيته من الدموع وقال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيّاً، الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً، ثم دعا الناس، وقال: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم، فسمعوا وحمدوا الله وشكروه، إذ ألهمهم معرفة أمير المؤمنين عليه السلام. وسار الراهب بين يديه وقاتل معه أهل الشام حتى استشهد، فتولى أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الاستغفار له، وكان إذا ذكره

يقول عليه السلام: ذاك مولاي[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام ما روي من ردّ الشمس عليه مرتين في عهد النبي صلى الله عليه وآله، ومرّة بعد وفاته[2]. فروي أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعليّ عليه السلام بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله فلما تغشّاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام ولم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلّى علي عليه السلام العصر إيماء، فلما أفاق قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فاتتك العصر؟ قال عليه السلام: صليتها قاعداً إيماء، فقال صلى الله عليه وآله: ادع الله يردّ عليك الشمس حتى تصلّيها قائماً في وقتها فإن الله يجيبك لطاعتك له ولرسوله، فسأل علي عليه السلام الله في ردّها فردّت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصلاها ثم غربت. قالت أسماء بنت عميس: فوالله لقد سمعنا لها عند غروبها صوتاً كصرير المنشار.

وبعد النبي صلى الله عليه وآله حين أراد علي عليه السلام أن يعبر الفرات ببابل، فاشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم وصلى هو مع طائفة من أصحابه العصر وفاتت جمهورهم، فتكلموا في ذلك، ولما سمع عليه السلام ذلك سأل الله في ردّها ليجتمع كافة أصحابه على الصلاة فأجابه الله تعالى وردّها فكانت كحالها وقت العصر فلما سلّم بالقوم غابت وسمع لها وجيب شديد هال الناس، فأكثروا التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على نعمته التي ظهرت فيهم وسار خبر ذلك في الآفاق[3].

ـ ومن كراماته عليه السلام؛ أنه اتهم ذات يوم رجلاً يقال له: العيذار يرفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحده، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لتحلف بالله إنك ما فعلت؟ قال: نعم، فبدر فحلف، فقال علي عليه السلام: إن كنت

(١) كشف الغمة: ص ٨١.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٢.

(٣) المصدر السابق ص ٨٢.

كاذباً فأعمى الله بصرك، فما دارت الجمعة حتى عمي وأخرج يقاد وقد أذهب الله بصره[1].

- ومن كراماته عليه السلام؛ أنه ناشد الناس من سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار وأنس بن مالك في القوم ولم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس ما منعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟ قال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم إن كان كاذباً فأضربه ببياض أو بوضح لاتواريه العمامة. قال طلحة بن عمير: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه[2].

- ومن كراماته عليه السلام أنه ناشد الناس فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. . .» فقام اثنا عشر بدرياً ستة من الجانب الأيسر وستة من الجانب الأيمن فشهدوا بذلك: قال زيد بن أرقم: كنت فيمن سمع ذلك فكتمته فذهب الله ببصري، وكان يتندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر[3].

- ومن كراماته عليه السلام أنه قال على المنبر: أنا عبد الله وأخو رسول الله، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيدة نساء أهل الجنة، وأنا سيد الوصيين، وآخر أوصياء النبيين، لا يدعي ذلك غيري إلا أصابه الله بسوء. فقال رجل من عبس: أنا عبد الله وأخو رسول الله، فلم يبرح من مكانه حتى تخبطه الشيطان فجرّ برجله إلى باب المسجد، فسألنا قومه هل يعرفون به عرضاً قبل هذا قالوا: اللهم لا[4].

---

(١) كشف الغمة: ص ٨٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

ـ ومن كراماته عليه السلام ما حكي أن معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه: ما نعلم لذلك وجهاً، قال: فأنا أستخرج علم ذلك من علي عليه السلام فإنه لا يقول الباطل، فدعا ثلاثة رجال من ثقاته وقال لهم: امضوا حتى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة ثم تواطوا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلّة واليوم والوقت وموضع القبر، ومن تولّى الصلاة عليّ، وغير ذلك حتى لا تختلفوا في شيء ثم ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثم ليدخل الثاني فيخبر بمثله ثم ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه وانظروا ماذا يقول عليّ.

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثم دخل أحدهم وهو راكب مغد شاحب، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام، قالوا له: ما الخبر؟ قال: مات معاوية، فأتوا علياً عليه السلام وقالوا: رجل راكب من الشام يخبر بموت معاوية، فلم يحفل عليه السلام لذلك. ثم دخل آخر من الغد وهو مغد، فقال له الناس: ما الخبر؟ قال: مات معاوية وخبر بمثل ما خبر صاحبه، فأتوا علياً عليه السلام وقالوا: رجل راكب آخر يخبر من موت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامهما، فأمسك علي عليه السلام. ثم دخل الآخر في اليوم الثالث فقال الناس: ما وراءك؟ قال: مات معاوية، فسألوه عما شاهد، فلم يخالف قول صاحبيه فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين صحّ الخبر، هذا راكب ثالث قد أخبر بمثل خبر صاحبيه، فلما كثروا عليه قال علي عليه السلام: كلاّ أوتُخضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من هامته ـ ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد فرجع الخبر بذلك إلى معاوية[1].

ـ ومن كراماته عليه السلام ما روته أسماء بنت عميس قالت: سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول:

---

(١) كشف الغمة: ص ٨٢.

«ليلة دخل بي علي عليه السلام أفزعني في فراشي سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحت وأنا فزعة فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل فإن الله فضّل بعلك على سائر خلقه وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها»[1].

ومناقبه عليه السلام ومآثره وما جرى على يديه من خوارق العادات أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى، وما ذكر دليل على ما لم يذكر، فإن بالثمرة الواحدة قد يستدل على الشجرة.

---

(١) كشف الغمة: ص ٨٢.

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

لما جلس علي عليه السلام على الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متنعلاً نعل رسول الله، متقلّداً سيف رسول الله، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ثم شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال:

«معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً زقّاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثنّيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى ينطق التوراة فيقول: صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن أيّة آية في ليل أنزلت أو في نهار أُنزلت مكّيّها ومدنيّها، سفريّها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم»[1].

وروي أنه عليه السلام خطب يوماً فقال:

«سلوني قبل أن تفقدوني فأنا نمط الحجاز وأنا عَيْبَة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا فقأت عين الفتنة بباطنها وظاهرها، سلوا من عنده علم البلايا والمنايا والوصايا وفصل الخطاب، سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقاً، وما من فئة تهدي مائة أو تضلّ مائة إلا وقد أتيت بقائدها وسائقها، والذي نفسي بيده لو طوي لي الوسادة فأجلس عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل الفرقان بفرقانهم»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته:

«أنا الهادي، أنا المهديّ، وأنا أبو اليتامى والمساكين، وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كل ضعيف، ومأمن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى، وكلمة الله التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب

(١) التوحيد: المصدوق، باب حدوث العالم، ص ٣١٩.
(٢) المناقب: ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٨.

الله الذي يقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة، من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه لأني وصيُّ نبيّه في أرضه وحجته على خلقه لا ينكر هذه إلا رادٌّ على الله وعلى رسوله ﷺ»[1].

وقال أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي عليه السلام على منبر الكوفة:

«وإني لديّان الناس يوم الدين وقسيم الله بين الجنّة والنار لا يدخلها داخل إلا على أحد قسمين، وأنا الفاروق الأكبر وقرن من حديد وباب الإيمان وصاحب الميسم وصاحب السنن، وأنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر، وصاحب القضاء، وصاحب الكرّات ودولة الدول، وأنا إمام لمن بعدي والمؤدِّي عمن كان قبلي، ما يتقدمني إلا أحمد صلوات الله عليه وآله، وإن جميع الملائكة والرسل والروح خلفنا، وأن رسول الله ﷺ ليُدعى فينطق وأُدعى فأنطق على حدّ منطقه، ولقد أعطيت السبع التي لم يسبق إليها أحد، وبصرت سبيل الكتاب وفتحت لي الأبواب وعلمت الأنساب ومجرى الحساب وعلمت المنايا والبلايا والوصيّات وفصل الخطاب، ونظرت في الملكوت فلم يعزب عني شيء غاب عني، ولم يفتني ما سبقني ولم يشركني أحد فيما أشهدني يوم شهادة الأشهاد، وأنا الشاهد عليهم وعلى يدي تمّ

---

(١) معاني الأخبار: الصدوق، ص ١٧.

موعد الله بكل كلمة، وبي يكمل الدِّين، وأنا نعمة الله التي أنعمها الله على خلقه، وأنا الإسلام الذي ارتضاه لنفسه كل ذلك منّا من الله».

وقال علي عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر:

«لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرُّ على ملإٍ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفوا به ولكن حسبك أن تكون مني وأكون منك ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي، أنت تؤدي ديني وتقاتل على سنتي وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وأنك غداً على الحوض خليفتي، تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل من يرد عليّ الحوض، وأنت أوّل داخل في الجنة من أمتي وأن شيعتك على منابر من نور، رواء مرويّون مبيضّة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني، وإن عدوّك غداً ظماء مظمأون مسودّة وجوههم مقمحون، حربك حربي، وسلمك سلمي وسرّك سري وعلانيتك علانيتي وسريرة صدرك سريرة صدري، وأنت باب علمي، وأن ولدك ولدي ولحمك لحمي ودمك دمي، وأن الحق معك، والحق على لسانك، وفي بين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأن الله عز وجل أمرني أن أُبشرك أنك وعترتي في الجنّة، وأنّ عدوّك في النار، لا يرد عليّ الحوض مبغضٌ لك ولا يغيب عنه محب. قال: قال علي عليه السلام فخررت لله ساجداً وحمدته على ما

أنعم به عليّ من الإسلام والقرآن وحببني إلى خاتم النبيين وسيّد المرسلين ﷺ»[1].

وروي أن رسول الله ﷺ قال:

«لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد والجن حُسّاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام».

فالأخبار في فضائل علي عليه السلام أكثر من أن تحصى وليس غرضنا بيان فضائل الأئمة عليهم السلام ومناقبهم بل الغرض بيان أخلاقهم وصفاتهم وكراماتهم.

---

(١) كفاية الطالب: ص ١٣٥.

أخلاق فاطمة عليها السلام وكراماتها

قالت تلك أم سلمة: «كانت فاطمة بنت رسول الله على أبيها وعليها السلام أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وعن عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فقبّلته وأخذت بيده فأجلسته في مكانها»[2].

وعن عائشة أيضاً أنها قالت:

«ما رأيت أحداً أصدق منها إلا أباها»[3].

وعن جابر قال:

«ما رأيت فاطمة عليها السلام تمشي إلا ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله تميل إلى جانبها الأيمن مرّة وعن جانبها الأيسر مرّة»[4].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٤٢.
(٢) كشف الغمة: ص ١٣٦.
(٣) كشف الغمة: ص ١٤٢.
(٤) كشف الغمة: ص ١٣٩.

وعن عائشة أنها سئلت: «من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فقالت: فاطمة. قيل: إنما نسألك عن الرجال، قالت: زوجها»[1].

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال علي عليه السلام:

«إن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة فأعرض عنها. فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول الله ﷺ: أنت مني يا فاطمة، ثم جاء سائل فناوله القلادة ثم قال رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على من أهرق دمي وآذاني في عترتي»[2].

وعن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتى انفجر عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لها ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أُماه ولم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار»[3].

وعن عائشة قالت:

«لما مرض رسول الله ﷺ دعا ابنته فاطمة فسارَّها فبكت، ثم سارَّها فضحكت. فسألتها عن ذلك فقالت: أما حيث بكيت فإنه أخبرني أنه ميّت فبكيت، ثم أخبرني أني أوّل أهل بيته لحوقاً به ضحكت»[4].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١٣٥.

إن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة على النفور منه، محبّة للحياة ومائلة إليها، . حتى أن الأنبياءعليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله ومنازلهم من محالّ قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهي إليه أمورهم؛ كرهوا الموت ونفروا منه، وقصة آدمعليه السلام مع طول عمره وامتداد أيام حياته، وكذلك حكاية موسىعليه السلام مع ملك الموت وكذلك إبراهيمعليه السلام، مشهورة.

وفاطمةعليها السلام امرأة حديثة عهد بالصِّبا، ذات أولاد صغار وبعل كريم، لم تقض من الدنيا إرباً[1]، وهي في غضارة عمرها وعنفوان شبابها يعرّفها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلو بموت أبيها وتضحك طيبة نفسها بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها فرحة بالموت، مائلة إليه، مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، وهذا أمر عظيم لا تحيط الألسن بصفته ولا تهتدي القلوب إلى معرفته، وما ذاك إلا لأمر علمه الله من أهل هذا البيت الكريم، وسرّ أوجب لهم به مزيد التقديم، فخصهم بباهر معجزاته، وأظهر عليهم آثار علائمه وسماته، وأيّدهم ببراهينه الصادعة ودلالاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وعن أمير المؤمنينعليه السلام قال لرجل من بني سعد:

«ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراءعليها السلام، إنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرٌّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبيصلى الله عليه وآله فوجدت عنده أحداثاً فاستحييت فانصرفت فعلم النبيصلى الله عليه وآله أنها جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في

---

(١) الإرب: الحاجة.

لحافنا فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك فيسلّم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف، فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله ادخل فدخل وجلس عند رؤوسنا فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقِربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها، وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرَّ ما أنت فيه من هذا العمل، قال: أفلا أُعلّمكما ما هو خيرٌ لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمةعليها السلام رأسها فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله»[1].

عن أمير المؤمنين عليعليه السلام قال:

«كنّا عند رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: أخبروني أي شيء خير للنساء فعيينا بذلك كلّنا حتى تفرّقنا فرجعت إلى فاطمةعليها السلام فأخبرتها الذي قال لنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وليس أحد منّا عَلِمه ولا عرفه فقالت: ولكني أعرفه: خيرٌ

(١) الفقيه: ص ٨٨.

للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء، خيرٌ لهنّ أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال، فقال ﷺ: من أخبرك ولم تعلمه وأنت عندي؟ قلت: فاطمة، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وقال: إن فاطمة بضعة مني»[1].

وعن مجاهد قال:

«خرج النبي ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذا فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[2].

وعن النبي ﷺ أنه قال:

«لولا عليٌّ لم يكن لفاطمة كفؤ»[3].

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال لعلي:

«يا علي إن الله زوجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى حراماً»[4].

وروي في تزويج أمير المؤمنين علي بفاطمة عليها السلام:

«إن النبي ﷺ أخذ في فيه ماء ودعا فاطمة فأجلسها بين يديه ثم مجّ الماء في المخضب (وعاء لغسل الثياب)

---

(١) كشف الغمة: ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٢.

(٤) المصدر السابق: ص ١٤٢.

وغسل قدميه ووجهه ثم دعا فاطمةعليها السلام فأخذ كفّاً من ماء فضرب به على رأسها وكفّاً بين بين يديها ثم رش جلدها، ثم دعا بمخضب آخر ثم دعا عليّاًعليه السلام فصنع به كما صنع بها، ثم التزمهما فقال: اللهم إنهما مني وأنا منهما، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهّرتني تطهيراً فأذهب عنهما الرجس وطهّرهما تطهيراً، ثم قال: قوماً إلى بيتكما، جمع الله بينكما، وبارك في سيركما واصلح بالكما، ثم قام فأغلق عليهما الباب بيده»[1].

قال ابن عباس؛ فأخبرتني أسماء أنها رمقت رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحداً حتى توارى في حجرته[2]. وعن نافع بن أبي الحمراء قال: شهدت رسول اللهصلى الله عليه وآله ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مرّ بباب فاطمةعليها السلام وقال:

«السلام عليكم، الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[3].

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال:

«لما زوَّج رسول اللهصلى الله عليه وآله فاطمة من عليّعليه السلام كان الله تعالى مزوّجه من فوق عرشه، وكان جبرئيلعليه السلام الخاطب وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً. وأوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك من الدُرّ والياقوت واللؤلؤ، وأوحى الله

---

(١) كشف الغمة: ص ١٤٢.
(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢.
(٣) المصدر السابق: ص ١٣٧.

إلى الحور العين أن التقطنه فهنّ يتهادينه بينهنّ إلى يوم القيامة فرحاً بتزويج فاطمة علياً عليهما السلام»[1].

وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن فقال:

«اشربي فداك أبوك، ثم قال لعليّ عليه السلام: اشرب فداك ابن عمك»[2].

وعن علي عليه السلام فقال:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله تبارك وتعالى خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد»[3].

وعن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كنت شهدت فاطمة عليها السلام وقد ولدت بعض ولدها ولم أرَ لها دماً، فقال النبي صلى الله عليه وآله:

«فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسيّة»[4].

وعن عليّ عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله سُئل ما البتول؟ فإنا سمعناك يا رسول الله صلى الله عليه وآله تقول: «إن مريم بتول وفاطمة بتول». فقال صلى الله عليه وآله:

«البتول التي لم ترَ حمرة قط ـ أي لم تحض ـ فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[5].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٤٢.
(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢.
(٣) المصدر السابق: ص ١٣٨.
(٤) المصدر السابق: ص ١٣٩.
(٥) المصدر السابق: ص ١٣٩.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لما ولدت فاطمة أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد فسماها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمث، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث في الميثاق»(١).

وعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أتدرين لِمَ سمّيت فاطمة؟ قال: علي عليه السلام لم سمّيت؟ قال: لأنها فطمت هي وشيعتها من النار»(٢).

وعنه عليه السلام قال:

«لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والرضيّة والمرضيّة والمحدّثة والزهراء. قال: وسمّيت فاطمة لأنها فطمت من الشر، ولولا عليٌّ لما كان لها كفؤ في الأرض»(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل لم سميت الزهراء الزهراء؟ قال:

«لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته، فلما أن أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة تعالى ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور، فأوحى الله إليهم: هذا نوري، أسكنته في

---

(١) كشف الغمة: ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

سمائي وخلقته من عظمتي، أخرجته من صلب نبيٍّ من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون إلى حقّي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي»[١].

وعن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام:

«يا بنيّة إن الله أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثم اطلع ثانية فاختار زوجك على رجال العالمين، ثم اطلع ثالثة فاختارك على نساء العالمين، ثم اطلع رابعة فاختار بنيك على شباب العالمين»[٢].

وروي في معنى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قال: «سأله بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام»[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«اشتاقت الجنّة إلى أربع من النساء مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وهي زوجة النبي في الجنّة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمد»[٤].

وعن أبي سعد الخدري قال: أصبح عليّ عليه السلام ذات يوم وقال: يا فاطمة عندك شيء تغذينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أصبح الغداة عندي شيء أُغذِّيكاه، وما كان عندي شيء منذ يومين إلا شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين حسن

---

(١) كشف الغمة: ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وحسين. فقال عليّ عليه السلام: يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً؟ فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحيي من إلهي أن تكلّف نفسك ما لا تقدر عليه. فخرج عليّ عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام واثقاً بالله حسن الظن به عز وجل فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري لعياله ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحرّ قد لوّحته الشمس من فوقه وآذته من تحته فلما رآه عليّ عليه السلام أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ فقال: يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي، قال: يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى الله عز وجل وإليك أن تخلّي سبيلي ولا تكشفني عن حالي، فقال: يا أخي إنه لا يسعك أن تكتمني حالك فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت فوالذي أكرم محمداً بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي جياعاً، فلما سمعت بكاءهم لم تحملني الأرض فخرجت مهموماً راكباً رأسي[1] هذه حالتي وقصّتي. فانهملت عينا علي عليه السلام بالبكاء حتى بلّت دموعه لحيته فقال: احلف بالذي حلفت به ما أزعجني إلا الذي أزعجك وقد اقترضت ديناراً فهاكه، فقد آثرتك على نفسي فدفع الدينار إليه ورجع حتى دخل المسجد فصلى الظهر والعصر والمغرب، فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرّ بعلي عليه السلام وهو في الصف الأول فغمزه برجله فقام علي عليه السلام فلحقه في باب المسجد فسلّم عليه فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشيناه فنميل معك؟ فمكث مطرقاً لا يحير جواباً حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عرف ما كان من أمر الدينار ومن أين أخذه ومن أين وجّهه بوحي من الله إلى نبيّه وأمره أن يتعشى عند عليّ عليه السلام تلك الليلة فلما نظر إلى سكوته، قال: يا أبا الحسن ما لك لا تقول: لا؟ فأنصرف أو نعم فأمضي معك؟

---

(١) ركب رأسه: مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشداً.

فقال عليه السلام: حياءً وتكرُّماً، فاذهب بنا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي في مصلاها قد قضت صلاتها وخلفها جُفنةٌ تفور دخاناً، فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت من مصلاّها فسلّمت عليه، وكانت أعزّ الناس عليه فردّ السلام ومسح بيده على رأسها فقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله؟ قالت: بخير، قال: عشّينا رحمك الله وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فلما نظر علي عليه السلام إلى الطعام وشمّ ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً، فقالت له فاطمة عليها السلام: يا سبحان الله ما أشحّ نظرك وأشدّه هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً استوجب به منك السخط فقال: وأيّ ذنب أعظم من ذنب أصبته، أليس عهدي بك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً منذ يومين قال: فنظرت إلى السماء وقالت: إلهي يعلم في سمائه وأرضه أني لم أقل إلا حقّاً. فقال لها: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه ولم أشمّ مثل رائحته قط ولم آكل أطيب منه؟ قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفّه المباركة الطيبة بين كتفي عليّ عليه السلام فغمزها ثم قال: يا عليّ هذا بدل دينارك، هذا جزاء دينارك من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثم استعبر النبي صلى الله عليه وآله باكياً ثم قال: الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتى يجريك مجرى زكريا ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران[١].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٤١.

أخلاق الإمام الحسنعليه السلام وصفاته

كان الإمام الحسنعليه السلام أشبه الناس برسول اللهصلى الله عليه وآله خلقاً وهدياً وسؤدداً، حتى قيل: إنه لم يكن أحد أشبه برسول الله من الحسن بن عليّ عليه السلام[1].

وروي أن أمير المؤمنينعليه السلام قال:

«كان الحسن بن عليّ أشبه برسول اللهصلى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك»[2].

وروي أن فاطمةعليها السلام أتت بابنيها الحسن والحسينعليهما السلام إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله في شكواه التي توفّي فيها فقالت:

«يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقالصلى الله عليه وآله: أما الحسن فإن له هديي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتي»[3].

وفي رواية أخرى قالصلى الله عليه وآله:

---

(١) كشف الغمة: ص ١٥٤. السؤدد: الشرف والمجد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

«أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي»[1].

وروي: «خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجّاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمرّوا بعجوز في خباء لها، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم فأناخوا بها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة، فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها، ففعلوا ذلك وقالوا لها: هل من طعام قالت: لا إلا هذه الشاة، فليذبحنّها أحدكم حتى أهيىء لكم شيئاً تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا، ثم أقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون إليك خيراً، ثم ارتحلوا وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل وقال: ويحك أتذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم، ثم تقولين نفر من قريش، ثم بعد مدّة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلوها وجعلا ينقلان البعر إليها فيبيعانه ويعيشان منه، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث غلامه فردّها، وقال لها: يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي لست أعرفك فقال: فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك. فأمر الحسن عليه السلام فاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة، وأمر لها بألف دينار، وبعث مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام فقال: بكم وصلك أخي الحسن؟ فقالت: بألف دينار وألف شاة، فأمر لها بمثل ذلك. ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال: بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام؟ قالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبد الله بألفي دينار وألفي شاة، وقال: لو بدأت بي

(١) كشف الغمة: ص ١٥٤.

لاتعبتهما، ورجعت العجوز إلى زوجها بذلك»[1].

وروي عن عائشة أنها قالت:

«دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلاً راكباً بغلة حسنة قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي: إنه الحسن ابن عليّ بن أبي طالب، فامتلأ قلبي غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعليّ ولد مثله فقمت إليه فقلت: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابنه، فقلت: أنت ابن من ومن ومن وجعلت أشتمه وأنال منه ومن أبيه وهو ساكت، حتى استحييت منه فلما انقضى كلامي ضحك وقال: أحسبك غريباً شامياً، فقلت: أجل، فقال: فمل معي إن احتجت إلى منزل أنزلناك وإلى مال أرفدناك وإلى حاجة عاونّاك، فاستحييت منه وتعجبت من كرم أخلاقه، فانصرفت وقد صرت أحبّه ما لا أحبّ أحداً غيره»[2].

وقال الإمام الحسن عليه السلام:

«إني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه»[3].

وعن أبي نجيح قال: «إن الحسن بن عليّ حجّ ماشياً، وقسم ماله نصفين[4].

وعن شهاب بن أبي عامر قال: إن الحسن بن عليّ عليه السلام قاسم الله ماله مرتين حتى تصدّق بفرد نعله»[5].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كشف الغمة: ص ١٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وروي أيضاً أنه: «خرج الحسن بن علي عليه السلام عن ماله مرتين وقاسم الله ثلاث مرَّات حتى أنه كان يعطي من ماله نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً»[1].

وسئل عليه السلام عن البخل فقال:

«هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً»[2].

وأتاه رجل فقال: إن فلاناً يقع فيك؟، فقال:

«ألقيتني في تعب أريد الآن أن أستغفر الله لي وله».

قال كمال الدين بن طلحة:

«نُقل أنه عليه السلام اغتسل وخرج من داره في حلّة فاخرة، وبزّة ظاهرة، ومحاسن سافرة، وقسمات ناضرة، ونفحات ناشرة، ووجهه يشرق حُسناً، وشكله قد كمل صورة ومعنى، والإقبال يلوح من أعطافه، ونضرة النعيم تعرف من أطرافه، وقاضي القدر قد حكم أن السعادة من أوصافه، ثم ركب بغلة فارهة[3] غير قطوف، وسار مكتنفاً من حاشيته وغاشيته بصفوف، فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته به معاطس أنوف، وعدّه أباه وجدُّه في إحراز خصل الفخار يوم التفاخر بألوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود هم في هدم[4] قد أنهكته العلة وارتكبته الذّلة وأهلكته القلّة، وجلده يستر عظامه، وضعفه يقيّد أقدامه، وضرّه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبّب إليه حمامه. وشمس الظهيرة يشوي شواه، وأخصمه تصافح ثرى ممشاه، وغداف عُرعُريه[5] قد عراه، وطول طُواه

(١) كشف الغمة: ص ١٦٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) فارهة: سريعة السير غير قطوف: غير بطيئة.
(٤) الهدم: الشيخ الفاني.
(٥) الغداف: الشعر الطويل. عُرعرة كل شيء: رأسه وأعلاه.

قد أضعف بطنه وطَواه، وهو حامل جرّ مملوء ماء على مطاه[1]، وحاله يعطف عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسنعليه السلام وقال: يابن رسول الله أنصفني فقالعليه السلام: في أي شيء؟ فقال: جدُّك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر» وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنّة لك تتنعم فيها وتستلذّ بها وما أراها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرُّها وأتلفني فقرها، فلما سمع الحسنعليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد واستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه وأوضح لليهودي خطأ ظنّه وخطل زعمه وقال: يا شيخ لو نظرت إلى ما أعدّ الله تعالى لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضَنَك، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم ونكال العذاب المقيم لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في جنّة واسعة ونعمة جامعة»[2].

(١) طُواه: البطن. طَواه: نقيض نشره.

(٢) كشف الغمة: ص ١٦٢.

كرامات الإمام الحسن عليه السلام

من كرامات الإمام الحسن عليه السلام ما روي عن حبابة الوالبيّة قالت:

«رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس[1] - إلى أن قالت - فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة يرحمك الله، فقال: بتلك الحصاة، وأشار بيده إلى حصاة فأتيته بها فطبع لي فيها بخاتمه، ثم قال لي: يا حبابة: إذا ادّعى مدَّع الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريده، قالت: ثم انصرف حتى قبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجئت إلى الحسن عليه السلام وهو في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام والناس يسألونه فقال عليه السلام: يا حبابة الوالبية، فقلت: نعم يا مولاي، فقال: هاتي ما معك، قالت: فأعطيته فطبع لي فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقرّب ورحّب ثم قال لي: إن في الدلالة دليلاً على ما تريدين أفتريدين دلالة الإمامة؟ فقلت: نعم يا سيدي، فقال: هاتي ما معك، فناولته الحصاة فطبع لي فيها، قالت: ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذٍ مائة وثلاث عشرة سنة فرأيته راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة فأومأ إليّ بالسبّابة فعاد إليّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيدي كم

(١) الخميس: الجيش.

مضى من الدنيا وكم بقي؟ فقال: أما ما مضى فنعم وأما ما بقي فلا، قالت: ثم قال لي: هاتي ما معك، فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا الحسن موسى عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها، وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ذكر محمد بن هشام»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«خرج الحسن بن علي إلى مكّة سنة ماشياً، فورمت قدماه فقال له بعض مواليه: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم فقال: كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدَّامنا منزلٌ فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى إنه أمامك دون المنزل. فسارا ميلاً فإذا هو بالأسود: فقال الحسن بن عليّ عليه السلام لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن واعطه الثمن، فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن عليّ عليه السلام فقال: انطلق بي إليه، فانطلقت فأدخله عليه فقال له: بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا، أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً إنما أنا مولاك ولكن ادع الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً سويّاً يحبّكم أهل البيت فإني خلّفت أهلي تمخض فقال عليه السلام: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٦٣.

«خرج الحسن بن علي عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا منهلاً تحت نخلٍ يابس ففرش للحسن عليه السلام تحت النخلة وللزبيري تحت أخرى، فقال الزبيري: لو كان في هذه النخيل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن عليه السلام: وإنك لتشتهي الرُّطب؟ فقال: الزبيري: نعم. فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه فاخضرّت النخلة، ثم صارت إلى حالها، وأورقت وحملت رطباً، فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله، فقال له الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبيّ مستجابة، فصعدوا وصرموا ما كان في النخلة وكفاهم»[1].

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٣.

أخلاق الإمام الحسين عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«قالت الجنة: يا ربّ أليس قد وعدتني أن تسكنني ركناً من أركانك؟ قال: فأوحى إليها؛ أما ترضين أني زيّنتك بالحسن والحسين، فأقبلت تميس كما تميس العروس»[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنّة، من أحبهما أحبني ومن أبغضهما أبغضني»[(٢)].

وقال صلى الله عليه وآله:

«إن الجنّة تشتاق إلى أربعة من أهلي قد أحبّهم الله وأمرني بحبّهم؛ علي بن أبي طالب، والحسن والحسين والمهدي الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم»[(٣)].

---

(١) تميس: تتبختر، كشف الغمة: ص ١٥٧.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق.

ولقد تقدم في أخبار أبي الحسين وأخيه عليهما السلام ما هو قسميهما فما افترعا غارب مجدٍ إلا افترعه، ولا جمعا شمل سؤدد إلا جمعه ولا نالا رتبة علاء إلا نالها، ولا طالا هضبة إلا طالها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيهاً حسناً خذ حسيناً، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يقول للحسين: إيهاً حسين خذ الحسن»[2].

وقد اشتهر عن الإمام الحسين عليه السلام أنه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، وينيل الفقير، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشفق على اليتيم، ويعين ذا الحاجة، وقلّ أن وصله مال إلا فرّقه.

وينقل أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوات وافية فردّ الجميع عليه ولم يقبله منه، وهذه سجيّة الجواد وخلق الكريم وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله عليه السلام شاهدة له بصفة الكرم بأنّه متّصف بمحاسن الشيم، وقد كان في العبادة مقتدياً بمن تقدّم حتى نقل أنه عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجّة

---

(١) كشف الغمة: ص ١٧٧.

(٢) المصدر السابق.

إلى الحرم وهو ماش على قدميه[1].

وإن الكرم الذي الجود من أنواعه كامل في أهل البيت عليهم السلام وثابت لهم ومحقق فيهم، ولا يعدوهم ولا يفارق أفعالهم وأقوالهم، بل هو لهم على الحقيقة، وفي غيرهم كالمجاز، ولهذا لم ينسب الشحّ إلى أحد من بني هاشم، ولا نقل عنهم، لأنهم يجارون الغيوث سماحة، ويبادرون اللّيوث حماسة ويعدلون الجبال حلماً ورجاحة، فهم البحور الزاخرة، والسحب الهامية الهامرة:

فما كان من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آبائهم قبل

ولهذا قال علي عليه السلام وقد سئل عن بني هاشم وبني أمية فقال:

«نحن أمجد وأنجد وأجود وهم أغدر وأمكر وأنكر».

ولقد صدق عليه السلام، فإن الذي ظهر من القبيلتين في طول الوقت دال على ما قاله علي عليه السلام. ولا ريب أن الأخلاق تظهر على طول الأيام، وهذه الأخلاق الكريمة اتخذوها شريعة وجعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعة، لشرف فروعهم وأصولهم وثبات عقولهم، لأنهم لا يشيبون مجدهم بما يصمه، ولا يشوّهون وجوه سيادتهم بما يخلقها، ولأنهم مقتدى الأئمة ورؤوس هذه الملّة وخلاصة بني آدم وملوك الدنيا والهداة إلى الآخرة، وحجّة الله على عباده وأمناؤه على بلاده، فلا بد أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة، وسمات الجلال بادية باهرة، وأمثال الكرم العام سائرة، وأن كل متصف بالجود من بعدهم بهم اقتدى، وعلى منوالهم نسج وبهم اهتدى.

وكيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه النفيسة في مواطن النزال،

(١) كشف الغمة: ص ١٨٢.

ولا ريب عند العقلاء أن من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود، ومن زهد في الحياة المحبوبة فهو في زهو الحطام الفاني أزهد. وقد عرفت زهدهم فاعرف به رفدهم[١]. فإن الزاهد من زهد في حطامها، وخاف من آثامها، ورغب في حلالها وحرامها.

ولعلّك سمعت بما أتى في ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ من إيثارهم على أنفسهم. أليسوا هم الذين أطعموا الطعام على حبّه، ورغب كل واحد منهم في الطُوى[٢] لإرضاء ربه، وعرّضوا تلك الأنفس الكريمة لمرارة الجوع، وأسهروا تلك العيون الشريفة في الخوى[٣] فلم تذق حلاوة الهجوع[٤]، وجعلوها لما وجدوه من الرقّة على المسكين واليتيم والأسير غرقى من الدموع. وتكرّر عليهم ألم فقد الغذاء غدوّاً وبكوراً، وأضرم السغب[٥] في قلوب أهل الجنّة سعيراً، وأمنوا حين قالوا:

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾[٦].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[٧].

والحسين عليه السلام وإن كان فرعاً للنبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام، فهو أيضاً أصل لولده من بعده وكلّهم جواد كرام.

كرموا وجاء قبيلهم من قبلهم   وبنوهم من بعدهم كرماء

---

(١) الرفد: العطاء.

(٢) الطُوى:

(٣) الخوى: خلو الجوف في الطعام.

(٤) الهجوع: يقال هجع جوعه هجوعاً: أي كسره فانكسر.

(٥) السغب: الجوع.

(٦) الإنسان: ١٠ ـ ١١.

(٧) الإنسان: ٩.

فالناس أرض في السماحة والندى وهم إذا عدّ الكرام سماء
لو أنصفوا كانوا لآدم وحدهم وتفرّدت بولادهم حوّاء

وقال النبي ﷺ وقد جاءته أم هانىء يوم الفتح تشكو أخاها علياً عليه السلام:

«لله درّ أبي طالب لو ولد الناس كلهم كانوا شجعاناً».

وكان علي عليه السلام يقول في بعض حروبه:

«أملكوا عني هذين الغلامين فإني أنفس بهما على القتل لئلا ينقطع نسل رسول الله ﷺ».

وقيل لمحمد ابن الحنفية ـ رضي الله عنه ـ أبوك يسمح بك في الحرب ويشحّ بالحسن والحسين عليهما السلام فقال: هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينيه بيده. وقال مرّة أخرى وقد قيل له ذلك: أنا ولده وهما ولدا رسول الله ﷺ. والحماسة والسماحة رضيعتا لبان وقد تلازما في الجود فهما توأمان والجواد شجاع والشجاع جواد.

وشجاعة الحسين عليه السلام يضرب بها المثل وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأُول، وثباته إذا دعيت النوازل ثبات الجبل، وإقدامه إذا ضاق المجال إقدام الأجل، ومقامه في مقابلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جدّه ﷺ ببدر، وصبره على كثرة أعدائه وقلّة أنصاره صبر أبيه عليه السلام في صفين والجمل.

فكم من فارس مدلٌ ببأسه جدّله عليه السلام فانجدل، وكم من بطل طُلَّ دمه فبطل[1]، وكم حكّم سيفه فحكم في الهوادي والقلل[2]، فما لاقى شجاعاً إلا وكان لأمّه الهبل[3]، وحشرهم الله وجازى كلاً بما قدّم من العمل.

---

(١) طلَّ دمه: هدر دمه.

(٢) قلل: أعلى الرأس والجبل. الهوادي: الهادِي، العنق.

(٣) الهبل: هبلته أمّه: ثكلته.

وقال عليه السلام في علمه:

«وقد حلّى الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في أوجه ويفاعه[1]. وعلا محلّه فيه علوّاً تطامنت النجوم[2] عن ارتفاعه، واطّلع بصفاء سرّه على غوامض المعارف، فكشفت له الحقائق عند اطلاعه، وسار صبيته بالفواضل والفضائل فاستوى الصديق والعدو من استماعه، فلمّا أقسمت غنائم المجد حصل على صفاياه ومرباعه[3]، فقد اجتمع فيه وفي أخيه عليه السلام من خلال الفضل ما لا خلاف في اجتماعه، وكيف لا يكونان كذلك وهما ابنا فاطمة وعلي عليه السلام بلا فصل، وسبطا النبي صلى الله عليه وآله فأكرم بالفرع والأصل والسيدان الإمامان قاما أو قعدا، فقد استوليا على الأمد وحازا الخصل، والحسين عليه السلام هو الذي أرضى غرب السنان[4] وحدّ النصل، وغادر[5] جثث الأعداء فرائس[6] الكواسب[7] بالهبر[8] والفصل»[9].

ولما قتل معاوية حُجر بن عدي (ره) وأصحابه لقي في ذلك العام الحسين عليه السلام فقال: «يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه

---

(١) اليفاع: التل المشرف، أو كل ما ارتفع من الأرض.
(٢) تطامنت: انخفضت.
(٣) المرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية.
(٤) غرب السنان: حده.
(٥) غادر: تركه إعراضاً.
(٦) الفرائس: جمع فريسة، وهي ما تفترسه الأسد.
(٧) الكواسب: جمع كاسبة.
(٨) الهبر: القطع.
(٩) كشف الغمة: ص ١٨٠.

من شيعة أبيك؟ قال عليه السلام: لا، قال: إنا قتلناهم وكفّناهم وصلينا عليهم، فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفّناهم ولا صلّينا عليهم، وقد بلغني وقوعك في أبي حسن وقيامك به واعتراضك بني هاشم بالعيوب وأيم الله لقد أوترت غير قوسك، ورميت غير غرضك وتناولتها بالعداوة من مكان قريب، ولقد أطعت امرءاً ما قدّم إيمانه ولا حدث نفاقه، وما نظر لك فانظر لنفسك أودع ـ يريد عمرو بن العاص ـ»[1].

قال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيّته بطاقة ريحان: فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله، فقلت: تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ فقال عليه السلام: «كذلك أدّبنا الله، قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[2]، وكان أحسن منها عتقها»[3].

وقال عليه السلام يوماً لأخيه الحسن عليه السلام: «يا حسن وددت أن لسانك لي وقلبي لك»[4].

وكتب إليه الحسن عليه السلام يلومه في إعطائه الشعراء، فكتب إليه: «أنت أعلم مني بأن خير المال ما وقى العرض»[5].

ومن دعائه عليه السلام:

«اللهم لا تستدرجني بالإحسان ولا تؤدّبني بالبلاء»[6].

وجنى له غلام جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب فقال:

---

(١) كشف الغمة: ص ١٨٤.
(٢) الأعراف: ٩٠.
(٣) كشف الغمة: ص ١٨٤.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

«يا مولاي ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ فقال: خلوا عنه، فقال: يا مولاي ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ فقال: قد عفوت عنك، فقال: يا مولاي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ قال: أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك»[1].

وقال الفرزدق لقيني الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة، فقال عليه السلام:

«ما وراءك يا أبا فراس؟ قلت: أصدِّقك؟ قال: الصدق أريد. قلت: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أميّة والنصر من عند الله، قال: ما أراك إلا صدقت، الناس عبيد المال والدين لغو (لعق) على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدَّيَّانون»[2].

وقال عليه السلام:

«من أتانا لم يعدم خصلة من أربع: آية محكمة وقضية عادلة، وأخاً مستفاداً، ومجالسة العلماء»[3].

وقيل كان بينه وبين الحسن عليه السلام كلام فقيل له: ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال عليه السلام:

«إني سمعت جدّي صلى الله عليه وآله يقول: أيّما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضى الآخر كان سابقه إلى الجنّة

(١) كشف الغمة: ص ١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر، فبلغ قوله الحسن عليه السلام فأتاه عاجلاً»[1].

ومن أراد أن يتعرف على مناقب هؤلاء القوم ومزاياهم، وخلالهم الشريفة وسجاياهم، والوقوف على حقيقة فضلهم الجزيل، والاطلاع من أحوالهم على الجملة والتفصيل، ومعرفة ما لهم من المكانة بالبرهان والدليل، ما عليه إلا تدبر كلامهم في مواعظهم وخطبهم وأنحائهم ومقاصدهم وكتبهم، المشتملة على المفاخر التي جمعوها وغوارب الشرف التي اخترعوها، وغرائب المحاسن التي سنّوها وشرّعوها. فإن أفعالهم تناسب أقوالهم، وكلها تشبه أحوالهم، والإناء ينضح بما فيه، والولد بضعة من أبيه، وليس من يضلّه الله كمن يهديه، ولا من أذهب عنه الرجّس وطهّره كمن حار في ليل الباطل فهو أبداً فيه. والكريم يحذو حذو الكريم، والشرف الحادث دليل على الشرف القديم، والأصول لا تخيب والنجيب ابن النجيب، وما أشد الفرق بين البعيد والقريب، والأجنبي والنسيب. فالواحد منهم عليهم السلام يجمع خلال الجميع، ويدل على أهل بيته دلالة الزهد على الربيع.

---

(١) كشف الغمة: ص ١٨٤.

كرامات الإمام الحسين عليه السلام

من كراماته عليه السلام ما روي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

«خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً وعاد، وهو أشعث أغبر، ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله مالي أراك أشعث مغبرّاً؟ فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء فأُريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل القط دماءهم فهاهي في يدي وبسطها لي فقال: خذيها فاحتفظي بها فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر فوضعته في قارورة سددت رأسها واحتفظت به، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجهاً إلى العراق كنت أخرج القارورة في كل يوم فأشمها وأنظر إليها وأبكي لمصابه، فلما كان اليوم العاشر من المحرّم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثم عدت إليها في آخر النهار فإذا هي دمٌ عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم

حتى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت»[1].

وقال عمر بن سعد للحسين عليه السلام:

«يا أبا عبد الله إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا بسفهاء لكنهم حلماء، أما أنه يقرّ بعيني أنك لا تأكل بُرَّ العراق بعدي إلا قليلاً»[2].

وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام:

«كان قاتل يحيى بن زكريا عليه السلام ولد زنًى، وكان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنًى، ولم تحمر السماء إلا لهما»[3].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أخلاق الإمام السجّاد عليه السلام

قيل في صفات الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه كان زين العابدين وقدوة الزاهدين، وسيد المتقين وإمام المؤمنين، سِمته تشهد أنه من سلالة رسول الله، وسَمته تثبت مقام قربه من الله، وثفناته تسجل كثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق عن زهده فيها. درّت له أخلاق التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبتها، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيّة فركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مفازة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة، وشهد له أنه من ملوك الآخرة.

كان له ألقاب كثيرة، كلها تطلق عليه، أشهرها زين العابدين وسيّد العابدين، الزكي، والأمين، وذو الثفنات. وقيل إن سبب لقبه بزين العابدين أنه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجده فتمثَّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته، فلم يلتفت إليه فجاء إلى إبهام رجله فالتقمها، فلم يلتفت إليه فألَّمَه فلم يقطع صلاته، فلما فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنه شيطان، فسبّه ولطمه وقال له: إخسأ يا ملعون. فذهب وقام إلى إتمام ورده فسمع صوتاً دون أن يرى قائله وهو يقول: أنت زين العابدين ـ ثلاثاً ـ فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له عليه السلام[1].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٩٨.

أما مناقبه ومزاياه وصفاته فكثيرة، منها أنه كان إذا توضأ للصلاة يصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول عليه السلام:

«أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم»[1].

ومنها أنه كان إذا مشى لا يجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده، وعليه السكينة والخشوع، وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة، فيقول لمن يسأله:

أريد أن أقوم بين يديّ ربّي وأناجيه فلهذا تأخذني الرعدة، ووقع النار في بيته يوماً وهو ساجد في صلاته فجعلوا يقولون: يابن رسول الله، يابن رسول الله النار، النار، فما رفع رأسه من السجود حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ فقال عليه السلام: نار الآخرة[2]. وكان بينه وبين ابن عمه الحسن بن الحسن شيء من المنافرة، فجاء الحسن إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئاً إلا قاله له من الأذى وهو ساكت ثم انصرف الحسن. فلما كان الليل أتاه في منزله فقرع عليه الباب فخرج إليه الحسن فقال له علي بن الحسين عليه السلام:

«يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك والسلام عليك ورحمة الله، ثم ولّى فأتبعه الحسن والتزمه من خلف وبكى حتى رقّ له ثم قال له: والله لا عدت إلى أمر تكرهه، فقال علي ابن الحسين عليه السلام: وأنت في حلّ مما قلته»[3].

---

(١) كشف الغمة: ص ١٩٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ولما مات علي بن الحسين عليه السلام وجدوه يقوت مائة بيت من أهل المدينة كان يحمل إليهم ما يحتاجون إليه[1].

وقال محمد بن إسحاق كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كان يؤتون به في اللّيل[2].

وقال أبو حمزة الثمالي: كان زين العابدين عليه السلام يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: «إن صدقة السرّ تطفىء غضب الرب»[3].

ولما مات عليه السلام غسّلوه فوجدوا في ظهره آثاراً فسألوا عنها، فقيل: كان عليه السلام يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً[4]. حتى قيل: ما فقدنا صدقة سرّ حتى مات علي بن الحسين عليه السلام.

وروي أن علي بن الحسين عليه السلام أراد الخروج إلى الحج، فاتخذت له سكينة بنت الحسين عليه السلام أخته، زاداً أنفقت عليه ألف درهم فلما كان بظهر الحرّة سيّرت ذلك إليه، فلم يزل يفرّقه على المساكين[5]. وكان عليه السلام يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة فإذا أصبح سقط مغشياً عليه وكانت الريح تميله كالسنبلة[6].

وروي أيضاً أنه:

«كان عليه السلام يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد

---

(١) كشف الغمة: ص ١٩٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

والموالي فقال لهم علي عليه السلام: مهلاً كفّوا، ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فألقى عليه علي بن الحسين عليه السلام خميصة (كساء أسود مربع) كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرُّسل»[1].

وروي أيضاً أنه:

«كان عنده عليه السلام قوم أضياف، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بنيّ لعلي بن الحسين عليه السلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علي عليه السلام للغلام وقد تحيّر الغلام واضطرب: أنت حرّ فإنك لم تعتمده، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله رضاً إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قط إلا دعاه ثقة به، وما طاق أحدٌ عمل رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الأمة غيره وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله عز وجل والنجاة من النار مما

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق.

كدّ بيديه، ورشح منه جبينه، وإنه كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرابيس إذا فضل شيء عن يده من كمّه دعا بالجلم فقصّه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل ابنه أبو جعفر عليه السلام فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحدٌ فرآه قد اصفرّ لونه من السهر، ورمصت عيناه[1] من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة. قال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له وإذا هو يفكّر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب فأعطيته فقرأ منها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه قال:

«حججت مع علي بن الحسين عليه السلام فالتاثت الناقة عليه في سيرها، فأشار إليها بالقضيب ثم قال: آه آه لولا القصاص وردَّ يده عنها»[3].

وروى أيضاً أنه:

«سكبت عليه الماء جارية ليتوضأ للصلاة فنعست فسقط

---

(١) رمصت عيناه: أي خرج منها وسخ أبيض.

(٢) إرشاد المفيد: ص ٢٣٩ وكشف الغمة: ص ٢٠١.

(٣) كشف الغمة: ص ٢٠١.

الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال عليه السلام: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال لها: عفا الله عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهبي فأنت حرّة لوجه الله»[1].

وروي أيضاً:

«إنه عليه السلام دعا مملوكه مرتين فلم يجبه، وأجابه في الثالثة، فقال له: يا بني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال عليه السلام: فما لك لم تجبني؟ قال: أمنتك، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني»[2].

وقيل أيضاً:

«أذنب غلام لعلي بن الحسين عليهما السلام ذنباً استحق به العقوبة فأخذ له السوط وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ فقال الغلام: وما أنا كذلك إني لأرجو رحمة الله وأخاف عذابه، فألقى السوط وقال: أنت عتيق»[3].

وروي أيضاً أنه:

«مات لعلي بن الحسين عليهما السلام ابن فلم يُر منه جزع، فسئل عن ذلك، فقال عليه السلام: أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره»[4].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كشف الغمة: ص ٢٠٥.

(٤) كشف الغمة: ص ٢٠٧.

قال طاوس:

«رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب، يدعو ويبكي في دعائه، فجئته حين فرغ من الصلاة فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف؛ أحدها أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، والثاني شفاعة جدك، والثالث رحمة الله، فقال عليه السلام: يا طاوس أمّا إني ابن رسول الله فلا تؤمنني، قد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وأما رحمة الله، فإن الله يقول إنها: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ولا أعلم أني محسن»[1].

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٨.

كرامات الإمام السجاد عليه السلام

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن أبي خرج إلى ماله ومعنا ناس من مواليه وغيرهم فوضعت المائدة لنتغذّى وجاء ظبي وكان منه قريباً، فقال له: يا ظبي أنا علي بن الحسين وأمي فاطمة بنت رسول الله هلّم إلى هذا الغذاء، فجاء الظبي حتى أكل معهم ما شاء الله أن يأكل، ثم تنحّى الظبي، فقال له بعض غلمانه: ردّه علينا، فقال: نعم لا تخفروا ذمتي، قالوا: لا، فقال له: يا ظبي أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمي فاطمة بنت رسول الله هلمّ إلى الغذاء وأنت آمن في ذمتي فجاء الظبي حتى قام على المائدة، فأكل معهم فوضع رجل من جلسائه يده على ظهره فنفر الظبي، فقال علي بن الحسين عليه السلام: أخفرت ذمتي[1] لا كلّمتك كلمة أبداً»[2].

ومنه بإسناده قال:

«بينا علي بن الحسين عليه السلام جالساً مع أصحابه إذ أقبلت ظبية من الصحراء حتى قامت بحذاه وضربت بذنبها

(١) أخفرت ذمتي: نقضت عهدي.

(٢) كشف الغمة: ص ٢٠٨.

وحمحمت، فقال بعض القوم: يابن رسول الله ما تقول هذه الظبية؟ قال: تزعم أن فلان ابن فلان القرشي أخذ خشفها[1] بالأمس وأنها لم ترضعه منذ أمس شيئاً فوقع في قلب رجل من القوم فأرسل علي ابن الحسين عليه السلام إلى القرشي فأتاه فقال: ما لهذه الظبية تشكوك؟ قال: وما تقول؟ قال عليه السلام: تقول إنك أخذت خشفها بالأمس في وقت كذا وكذا وإنها لم ترضعه شيئاً منذ أخذته وسألتني أن أبعث إليك فأسألك أن تبعث به إليها حتى ترضعه وتردّه إليك، فقال: والذي بعث محمداً بالحق لقد صدقت عليّ، قال له: فأرسل إلى الخشف فجيء به، قال: فلما جاء به أرسله إليها، فلما رأته حمحمت وضربت بذنبها ثم رضع منها. فقال علي بن الحسين عليه السلام للرجل: بحقي عليك إلا وهبته لي، فوهبه له، ووهبه عليّ بن الحسين عليه السلام لها وكلّمها بكلامها، فحمحمت وضربت بذنبها وانطلقت وانطلق الخشف معها، فقالوا: يابن رسول الله ما الذي قالت؟ قال: دعت لكم وجزتكم خيراً»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لما كان في الليلة التي وعد فيها عليّ بن الحسين عليه السلام قال لمحمد: يا بني أبغني وضوءاً قال: فقمت فجئته بماء، قال: لا تبغ هذا فإن فيه شيئاً ميّتاً، قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فارة ميتة، فجئته بوضوء غيره فقال: يا بني هذه الليلة التي وعُدتُها،

(١) الخشف: ولد الظبي.

(٢) كشف الغمة: ص ٢٠٨.

فأوصى بناقته أن يحطّ عليه خطاماً وأن يقام لها علف، فجعلت فيه فلم تلبث أن خرجت حتى أتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأتى محمد بن علي عليه السلام فقيل له: إنّ الناقة قد خرجت، فجاءها فقال: قومي بارك الله فيك، فلم تفعل، فقال: دعوها فإنها مودّعة، فلم تلبث ثلاثاً حتى نفقت»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام جاء محمد ابن الحنفية إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال له: يابن أخي أنا عمك وصنو أبيك وأنا أسنّ منك فأنا أحقّ بالإمامة والوصية، فادفع إليّ سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي ابن الحسين عليهما السلام: يا عمّ اتّق الله ولا تدّع ما ليس لك، فإني أخاف عليك نقص العمر وشتات الأمر، فقال له محمد ابن الحنفية: أنا أحق بهذا الأمر منك، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا عمّ فهل لك إلى حاكم نحتكم إليه؟ فقال: ومن هو؟ قال: الحجر الأسود، قال: فتحاكما إليه فلمّا وقفا عنده قال له: يا عمّ تكلّم فأنت المطالب، قال: فتكلّم محمد ابن الحنفية فلم يجبه، قال: فتقدم علي بن الحسين عليهما السلام فوضع يده عليه وقال:

اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السلطان، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة،

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٨.

وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القوّة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر، وأسألك باسمك الفالق الخبير البصير، ربّ الملائكة الثمانية، وربّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وربّ محمد خاتم النبيين لما أنطقت هذا الحجر بلسان عربي فصيح يخبر لمن الإمامة والوصية بعد الحسين بن علي قال: ثم أقبل عليّ بن الحسين عليه السلام على الحجر فقال: أسألك بالذي جعل فيك مواثيق العباد والشهادة لمن وافاك إلا أخبرت لمن الإمامة والوصية بعد الحسين بن علي؟ قال: فتزعزع الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه وتكلم بلسان عربي مبين فصيح يقول: يا محمد سلّم سلّم إن الإمامة والوصية بعد الحسين بن عليّ لعليّ ابن الحسين، قال أبو جعفر عليه السلام: فرجع محمد ابن الحنفية وهو يقول: بأبي عليّ»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«التزقت يدا رجل وامرأة على الحجر في الطواف وجهد كل واحد منهما أن ينزع يده فلم يقدرا عليه وقال الناس: اقطعوهما قال: فبينا هما كذلك إذ دخل علي بن الحسن عليه السلام، فأفرجوا له فلما عرف أمرهما تقدّم فوضع يده عليهما فانحلاّ وتفرّقا»[2].

عن المنهال بن عمرو قال:

«حججت فدخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال لي: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟ قلت:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٨.

(٢) كشف الغمة: ص ٢٠٩.

تركته حيّاً بالكوفة. قال: فرفع يده ثم قال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار. قال: فانصرفت إلى الكوفة وقد خرج بها المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً، فركبت لأسلم عليه فوجدته قد دعا بدابته وركبها فركبت معه حتى أتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء وقد كان في طلب حرملة بن كاهل فأُحضِر فقال: الحمد لله الذي مكّنني منك، ثم دعا بالجزار فقال: اقطعوا يديه فقطعتا، ثم قال: اقطعوا رجليه فقطعتا، ثم قال: النار النار، فأُتي بطنّ (حزمة) قصب، ثم جعل فيها، ثم ألهبت فيه النار حتى احترق، فقلت: سبحان الله سبحان الله، فالتفت إليّ المختار وقال: ممّ سبّحت؟ فقلت له: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فسألني عن حرملة فأخبرته أني تركته بالكوفة حيّاً، فرفع يديه وقال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار. فقال المختار: الله الله أسمعت عليّ بن الحسين يقول هذا؟ فقلت: الله الله لقد سمعته يقول هذا. فنزل المختار وصلّى ثم أطال ثم سجد فأطال، ثم رفع رأسه وذهب ومضيت معه حتى انتهى إلى باب داري فقلت له: إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل وتتغذّى عندي فقال: يا منهال: وتخبرني أن عليّ بن الحسين عليه السلام دعا الله بثلاث دعوات فأجابه الله فيها على يديّ، ثم تسألني الأكل عندك، هذا يوم صوم شكراً لله على ما وفقني له»[1].

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٩.

وعن ابن شهاب الزُّهري قال:

«شهدت عليّ بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديداً ووكّل به حفّاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنتهم بالتسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه وهوفي قبّة والأقياد في رجليه والغلُّ في يديه فبكيت وقلت: وددت أني أكون في مكانك وأنت سالم فقال لي: يا زهريُّ أو تظن هذا مما ترى عليّ وفي عنقي مما يكربني، أما لو شئت ما كان، وإنه إن بلغ بك وبأمثالك غمٌّ ليذكرنّ عذاب الله، ثم أخرج يده من الغلّ ورجليه من القيد ثم قال: يا زهري لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة، فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكّلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه، وكنت فيمن سألهم عنه، فقالوا لي: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة. قال الزُّهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن عليّ بن الحسين عليه السلام فأخبرته فقال لي: إنه جاء في يوم فَقَده الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت، فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحبّ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة، قال الزّهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن إنه مشغول بربّه فقال: حبذا شغل مثله منعم ما شغل به. وكان الزُّهريُّ إذا ذكر علي بن الحسين عليه السلام يبكي ويقول: زين العابدين»[1].

---

(١) مطالب السؤول: ص ٧٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لما ولّي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجّاج بن يوسف؛ أما بعد فانظر دماء بني عبد المطلب واحتقنها واجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لمّا ولعوا فيها لم يلبثوا إلا قليلاً والسلام.

قال: وبعث بالكتاب سرّاً وورد الخبر على علي بن الحسين عليه السلام ساعة كتب الكتاب وبعث به إلى الحجاج فقيل له: إن عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج كذا وكذا وإن الله قد شكر له ذلك وثبت ملكه وزاده برهة، قال: فكتب عليّ بن الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من علي بن الحسين أما بعد فإنك قد كتبت يوم كذا وكذا من ساعة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بكذا وكذا وإن رسول الله أنبأني وأخبرني أن الله قد شكر لك ذلك وثبت ملكك وزادك برهة، وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على بعيره وأمره أن يوصله إلى عبد الملك ساعة يقدم عليه، فلما قدم الغلام أوصل الكتاب إلى عبد الملك، فلما نظر إلى تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التي كتب فيها إلى الحجّاج فلم يشكّ في صدق علي بن الحسين عليه السلام وفرح فرحاً شديداً وبعث إلى عليّ بن الحسين عليه السلام بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سرّه من الكتاب»[1].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٠٩.

أخلاق الإمام الباقر عليه السلام

هو أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام، وله ثلاثة ألقاب: باقر العلم، والشاكر، والهادي، وأشهرها الباقر وسمّي به لتبقّره في العلم، أي لتوسّعه فيه. أما مناقبه الحميدة وصفاته الجميلة فكثيرة:

قال أفلح مولى أبي جعفر عليه السلام:

«خرجت مع محمد بن علي عليه السلام حاجّاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبي وأمي أنت، إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً، فقال لي: ويحك يا أفلح ولم لا أبكي لعلّ الله تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً، قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلّ من كثرة دموع عينيه، وكان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني»[١].

وروى عنه ولده جعفر عليه السلام فقال:

«كان أبي يقول في جوف الليل في تضرّعه: أمرتني

(١) مطالب السؤول: ص ٨٠.

فلم أئتمر، ونهيتني فلم أنزجر، فها أنا ذا عبدك بين يديك ولا أعتذر»[1].

وقالت سلمى مولاة أبي أجعفرعليه السلام:

«كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم فأقول له في ذلك ليقلّ منه، فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف، وكان يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يملّ من مجالسة إخوانه»[2].

وقال الأسود بن كثير:

«شكوت إلى أبي جعفرعليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان فقال: بئس الأخ أخٌ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمني، وقال: اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك»[3].

نقل عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال:

«كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه عليّ بن الحسينعليه السلام ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه: قبّل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبّل رأسه فقال جابر: من هذا؟ وكان قد كفّ بصره، فقال له علي: هذا ابني

(١) مطالب السؤول: ص ٨١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

محمد فضمه جابر إليه وقال: يا محمد، محمد رسول الله يقرأ عليك السلام فقالوا لجابر: كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ والحسين عليه السلام في حجره وهو يلاعبه فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له: علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيّد العابدين فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابن يقال له: محمد يا جابر إن لقيته فأقرئه مني السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير، فلم يعش بعد ذلك إلا قليلاً ومات»[(١)].

وعنه عليه السلام أنه سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده فقال:

«إذا حدثتكم بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي عن أبيه عن جدّه رسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى»[(٢)].

وكان عليه السلام يقول:

«بليّة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يستجيبوا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»[(٣)].

وكان عليه السلام يقول:

«ما ينقم الناس منّا نحن أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوّة ومعدن الحكمة وموضع الملائكة ومهبط الوحي»[(٤)].

---

(١) مطالب السؤول: ص ٨١.

(٢) إرشاد المفيد: ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

كرامات الإمام الباقرعليه السلام

عن يزيد ابن أبي حازم قال:

«كنت عند أبي جعفرعليه السلام فمررنا بدار هشام بن عبد الملك وهي تبنى فقال: أما والله لتهدمنَّ أما والله لينقلنّ ترابها من مهدمتها، أما والله لتبدونّ أحجار الزيت وإنه لموضع النفس الزكية، فتعجبت وقلت: دار هشام من يهدمها، فسمعت أذني هذا من أبي جعفرعليه السلام. قال: فرأيتها بعدما مات هشام وقد كتب الوليد في أن تستهدم وينقل ترابها فنقل حتى بدت الأحجار ورأيتها»[1].

ومنه بالإسناد قال:

«كنت مع أبي جعفرعليه السلام فمرّ بنا زيد بن عليّ فقال أبو جعفر: أما والله ليخرجنّ بالكوفة وليقتلنّ وليطافنّ برأسه. ثم أُتي به فنصب في ذلك الموضع على قصبة، فعجبنا من القصبة وليس في المدينة قصب أتوا بها معهم»[2].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق.

وعن أبي بصير قال:

«قال أبو جعفر عليه السلام: كان فيما أوصى أبي إليّ إذا أنا متُّ فلا يلي غسلي أحد غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام، واعلم أن عبد الله أخاك سيدعو إلى نفسه فدعه، فإن عمره قصير، فلما مضى أبي غسّلته كما أمرني وادّعى عبد الله الإمامة مكانه فكان كما قال أبي: وما لبث عبد الله يسيراً حتى مات، وكانت هذه من دلالته، يبشرنا بالشيء قبل أن يكون فيكون وبه يعرف الإمام»[1].

وعن فيض بن مطر قال:

«دخلت على أبي جعفر عليه السلام، وأنا أريد أن أسأله عن صلاة الليل في المحمل، قال: فابتدأني فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي على راحلته حيث توجّهت به»[2].

وعن سعد الإسكاف قال:

«طلبت الإذن على أبي جعفر عليه السلام فقيل: لا تعجل إن عنده قوماً من إخوانكم فما لبثت أن خرج عليّ اثنا عشر رجلاً يشبهون الزُّط، وعليهم أقبية[3] ضيقات وخفاف، فسلموا ومرُّوا فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: ما أعرف هؤلاء الذين خرجوا من عندك من هم. قال: هؤلاء قوم من إخوانكم الجنّ، قال: قلت: ويظهرون لكم؟ فقال: نعم يفدون علينا في

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أقبية: القباء ثوب يلبس فوق الثياب.

حلالهم وحرامهم كما تفدون»[1].

وعن أبي عبد الله قال:

«سمعت أبي يقول ذات يوم: إنما بقي من أجلي خمس سنين، فحسب ذلك فما زاد ولا نقص»[2].

وعن محمد بن مسلم قال:

«سرت مع أبي جعفرعليه السلام ما بين مكّة والمدينة وهو على بغلة وأنا على حمار له إذ أقبل ذئب يهوي من رأس الجبل حتى دنا من أبي جعفرعليه السلام فحبس البغلة ودنا الذئب حتى وضع يده على قربوس سرجه وتطاول بخطمه (مقدم أنفه) إليه وأصغى إليه أبو جعفرعليه السلام بأُذنه مليّاً ثم قال: اذهب فقد فعلت. فرجع الذئب وهو يهرول، فقال لي: تدري ما قال؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله اعلم، قال: إنه قال لي يابن رسول الله إن زوجتي في ذلك الجبل وقد عسر عليها ولادتها فادع الله أن يخلّصها ولا يسلّط أحداً من نسلي على أحد من شيعتكم، قلت: قد فعلت»[3].

وعن عبد الله بن عطاء المكّي قال:

«اشتقت إلى أبي جعفرعليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقاً إليه، فأصابني تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت إلى بابه نصف الليل فقلت: اطرقه

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الساعة أو انتظره حتى يصبح فإني لأُفكر في ذلك إذ سمعته يقول: يا جارية افتحي الباب لابن عطاء فقد أصابه في هذه الليلة برد وأذى، قال: فجاءت ففتحت الباب فدخلت»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كنت عند أبي محمد بن علي عليه السلام في اليوم الذي قبض فيه وأوصاني بأشياء في غسله وكفنه وفي دخوله قبره، قال: فقلت: يا أبه والله ما رأيت مذ اشتكيت أحسن هيئة منك اليوم ما أرى عليك أثر الموت، فقال: يا بني أما سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام ينادي من وراء الجدار: يا محمد تعال عجّل»[2].

وعن حمزة بن محمد الطيار قال:

«أتيت باب أبي جعفر عليه السلام استأذن عليه فلم يأذن لي وأذن لغيري فرجعت إلى منزلي وأنا مغموم فطرحت نفسي على سرير في الدار فذهب عني النوم، فجعلت أفكر وأقول: إلى من إلى المرجئة تقول كذا، والقدرية تقول كذا، والزيدية تقول كذا، فيفسد عليهم قولهم، فأنا أفكر في هذا حتى نادى المنادي فإذا الباب يدق، فقلت: من هذا؟ فقال: رسول أبي جعفر فخرجت إليه، فقال: أجب، فأخذت ثيابي عليّ ومضيت فلما دخلت إليه قال: يابن محمد لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى الحروريّة ولكن إلينا

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.
(٢) المصدر السابق.

إنما حجّتك لكذا وكذا ففعلت وقلت به»[1].

وقال مالك الجهني:

«كنت قاعداً عند أبي جعفرعليه السلام فنظرت إليه وجعلت أفكر في نفسي وأقول: لقد عظمك الله وكرّمك وجعلك حجّة على خلقه، فالتفت إليَّ وقال: يا مالك الأمر أعظم مما تذهب إليه»[2].

وعن أبي الهذيل قال: قال لي أبو جعفرعليه السلام:

«يا أبا الهذيل إنه لا يخفى علينا ليلة القدر إن الملائكة يطيفون بنا فيها»[3].

عن عباد بن كثير البصري قال:

«قلت للباقرعليه السلام: ما حق المؤمن على الله؟ فصرف وجهه، فسألته عنه ثلاثاً، فقال: من حق المؤمن على الله أن لو قال لتلك النخلة: اقبلي لأقبلت، فنظرت والله إلى النخلة التي كانت هناك قد تحركت مقبلة فأشار إليها قرّي فلم أعنك»[4].

وعن أبي الصباح الكناني قال:

«صرت يوماً إلى باب محمد الباقرعليه السلام فقرعت الباب فخرجت إليَّ وصيفة ناهد[5] فضربت بيدي على رأس

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الخرائج والجرايح: أبي الحسين سعيد الراوندي: ص ١٩٦.
(٥) أنهدت المرأة: أشرف ثديها وكعب.

ثديها وقلت لها: قولي لمولاك إني بالباب فصاح من داخل الدار: ادخل لا أُمَّ لك، فدخلت فقلت: يا مولاي ما قصدت ريبة ولا أردت إلا زيادة ما في نفسي. فقال: صدقت لئن ظننتم أنّ هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم إذا لا فرق بيننا وبينكم، فإياك أن تعود لمثلها»[1].

وعن أبي بصير قال:

«كنت عند الباقر عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً إذ دخل المنصور وداود بن عليّ قبل أن أفضى الملك إلى ولد العباس، وما قعد إلا داود إلى الباقر عليه السلام فقال: ما منع الدوانيقي أن يأتي؟ قال: فيه جفاء. قال الباقر عليه السلام: لا تذهب الأيام حتى يلي أمر هذا الخلق، فيطأ أعناق الرجال ويملك شرقها وغربها ويطول عمره فيها حتى يجمع كنوز الأموال ما لم يجمع لأحد قبله فقام داود وأخبر الدوانيقي بذلك، فأقبل إليه الدوانيقي وقال: ما منعني من الجلوس إليك إلا إجلالك فما الذي أخبرني به داود؟ قال: هو كائن. قال: وملكنا قبل ملككم؟ قال: ويملك بعدي أحد من ولدي؟ قال: نعم، قال: فمدّة بني أمية أكثر أم مدّتنا؟ قال: مدّتكم أطول وليتلقفنّ هذا الملك صبيانكم ويلعبون به كما يلعبون بالكرة، هذا ما عهده إليّ أبي، فلما ملك الدوانيقي تعجب من قول الباقر عليه السلام»[2].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

(٢) المصدر السابق.

وعن أبي بصير قال:

«قلت يوماً للباقر عليه السلام: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: ورسول الله وارث الأنبياء كلهم؟ قال: نعم ورث جميع علومهم، قلت: وأنتم ورثتم جميع علم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: وأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون ويدّخرون في بيوتهم؟ قال: نعم بإذن الله. ثم قال: أُدن مني يا أبا بصير فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرن السهل والجبل والسماء والأرض، ثم مسح على وجهي فعدت كما كنت لا أبصر شيئاً، قال أبو بصير: فقال لي الباقر عليه السلام: إن أحببت تكون هكذا كما أبصرت وحسابك على الله، وإن كنت تحب كما كنت وثوابك الجنّة؟ فقلت: أكون كما كنت والجنّة أحبّ إليّ»[1].

وعن جابر قال:

«كنا عند الباقر عليه السلام نحواً من خمسين رجلاً إذ دخل عليه كثير النّواء وكان من المقامرة فسلّم وجلس، ثم قال: إن المغيرة بن عمران عندنا بالكوفة يزعم أن معك ملكاً يعرفك الكافر من المؤمن وشيعتك من أعدائك، قال عليه السلام: ما حرفتك؟ قال: بيع الحنطة، قال عليه السلام: كذبت، قال: وربما أبيع الشعير؟

قال: ليس كما قلت، تبيع النّوى، قال: من أخبرك

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

بهذا؟ قال: الملك الربّاني يعرّفني شيعتي من عدوي ولست تموت إلا تائهاً، فلما انصرفنا إلى الكوفة ذهبت في جماعة نسأل عن كثير، فدللنا على عجوز فقالت: مات تائهاً منذ ثلاثة أيام»[1].

وعن عاصم بن أبي حمزة قال:

«ركب الباقر عليه السلام يوماً إلى حائط وأنا معه وسليمان بن خالد، فسرنا قليلاً فلقينا رجلان فقال عليه السلام: هما سارقان خذوهما، فأخذهما عبيده فقال: استوثقوا منهما فقال لسليمان: انطلق إلى ذلك الجبل مع هذا الغلام واصعد رأسك تجد في أعلاه كهفاً فأدخله واستخرج ما فيه، وحمّله الغلام فهو قد سرق من رجلين، فمشى وأحضر عيبتين فقال: صاحباها حاضر وغائب سيحضر، واستخرج عيبة أخرى من موضع آخر في الكهف وعاد إلى المدينة فدخل صاحب العيبتين وقد كان ادّعى على جماعة أراد الوالي أن يعاقبهم، فقال الباقر عليه السلام: لا تعاقبهم وردّهما على الرجل، وقطع السارقين فقال أحدهما: لقد قطعت يدي والحمد لله الذي أجرى توبتي وقطعي على يد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: لقد سبقتك يدك التي قطعت إلى الجنّة بعشرين سنة، فعاش بعد قطعها عشرين سنة وبعد ثلاثة أيام حضر صاحب العيبة الأخرى فقال له الباقر عليه السلام: أخبرك بما في عيبتك، فيها ألف دينار لك وألف لغيرك وفيها من الثياب كذا وكذا، فقال: إن أخبرتني

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

بصاحب الألف وما اسمه وأين هو علمت أنك الإمام المفترض الطاعة، فقال: هو محمد بن عبد الرحمن وهو رجل صالح كثير الصدقة والصلاة وهو الآن على الباب ينتظرك، فقال الرجل - وهو بربريٌّ نصراني -: آمنت بالله الذي لا إله إلا هو وأنّ محمداً عبده ورسوله، واسلم»[1].

وروى الحسين بن راشد:

«ذكرت زيد بن علي فتنقّصته عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: لا تفعل رحم الله عمي زيداً فإنه أتى إلى أبي فقال: إني أريد الخروج على هذا الطاغية فقال: لا تفعل يا زيد فإني أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحدٌ من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل، وقال لي: يا حسين إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار، وفيهم نزل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فالظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام، والمقتصد العارف بحقّ الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام، ثم قال: يا حسين إنا أهل بيت لا نخرج من الدنيا حتى نقرّ لكل ذي فضلٍ فضله»[2].

وعن جماعة استأذنوا على أبي جعفر عليه السلام فقالوا:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

(٢) المصدر السابق.

«فلما صرنا في الدهليز سمعنا إذاً قراءة سريانية بصوت حسن ويبكي حتى أبكى بعضنا وما نفهم مما يقول شيئاً، فظننا أن عنده بعض أهل الكتاب استقرأه فلما انقطع الصوت دخلنا عليه فلم نر عنده أحداً فقلنا: لقد سمعنا قراءة السريانية بصوت حزين، قال: ذكرت مناجاة إلياس النبي فأبكتني»[1].

عن عيسى بن عبد الرحمن عن أبيه قال:

«دخل ابن عكاشة بن محصن الأسدي على أبي جعفرعليه السلام وكان أبو عبد اللهعليه السلام قائماً عنده فقدّم إليه عنباً، فقال: حبّة حبّة يأكله الشيخ الكبير والصبي الصغير، وثلاثة وأربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع فكلوا حبتين حبتين فإنه يستحبّ. فقال لأبي جعفرعليه السلام: لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك للتزويج، وبين يديه صرّة مختومة فقال: سيجيء نخاس من بربر ينزل دار ميمون فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا على أبي جعفرعليه السلام فقال: ألا أخبركم عن ذلك النخّاس الذي ذكرته لكم فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرّة جارية، فأتينا النخاس، فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا بكم تبيعنا هذه المتماثلة؟ قال: سبعين ديناراً قلنا: أحسن، قال: لا أنقص من سبعين ديناراً، فقلنا: نشتريها منك: بهذه الصرّة ما بلغت وما ندري ما فيها، وكان

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

عنده رجل أبيض الرأس واللحية، فقال: فكّوا الخاتم وزنوا فقال النخاس: لا تفكوا فإنها إن نقصت حبة من السبعين لا أبايعكم، فقال الشيخ ادنوا ففكنا ووزنا الدنانير فإذا هي سبعين لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفرعليه السلام وجعفرعليه السلام عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان، فحمد الله ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، قال: حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة، أخبريني أبكر أنت أم ثيب؟ قالت: بكر، قال: كيف ولا يقع في يد النخاسين شيء إلا أفسدوه، قالت: كان يجيء النخاس فيقعد مني فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مراراً،وفعل الشيخ به مراراً، فقال: يا جعفر خذها إليك، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفرعليه السلام»[1].

وقال الإمام الصادقعليه السلام:

«كان أبي في مجلس له ذات يوم إذا طرق رأسه في الأرض ثم رفع رأسه فقال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم بالسيف ثلاثة أيام، فيقتل مقاتلتكم وتلقون منه بلاء لا تقدرون أن تدفعوه، وذلك من قابل فاتخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد. فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا: لا يكون هذا أبداً ولم يأخذوا حذرهم إلا نفر يسير وبنو

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٤٦.

هاشم خاصة، وذلك أنهم علموا أن كلامه هو الحق.
فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر عليه السلام بعياله وبني هاشم وخرجوا من المدينة، وجاء نافع بن الأزرق حتى كبس المدينة، فقتل مقاتلتهم، وفضح نساءهم فقال أهل المدينة: لا نرد على أبي جعفر شيئاً نسمعه منه أبداً بعد ما سمعنا ورأينا، فإنهم أهل بيت النبوّة ينطقون بالحق»[1].

(١) كشف الغمة: ص ٢١٨.

أخلاق الإمام الصادقعليه السلام

هو أبو عبد الله جعفر بن محمدعليه السلام، وله ألقاب أشهرها، الصادق، ومنها الصابر، والفاضل والطاهر.

أما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تضاف إليه وتروى عنه. وقد قيل: إن كتاب الجفر الذي بالمغرب والذي يتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامهعليه السلام، وإن في هذه لمنقبة سنيّة ودرجة في مقام الفضائل عليّة.

قال ابن أبي حازم:

«كنت عند جعفر بن محمدعليه السلام إذ جاء آذنه فقال: سفيان الثوري بالباب، فقال: إئذن له، فدخل فقال له جعفرعليه السلام: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتقي السلطان قم فاخرج غير مطرود، فقال سفيان: حدّثني حتى أسمع وأقوم، قال جعفر: حدثني أبي عن جدي أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمرٌ فليقل: لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي

العظيم» فلما قام سفيان، قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاثاً وأيّ ثلاث»[1].

وقال سفيان:

«دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام وعليه جبّة خزّ دكناء، وكساء خزّ، فجعلت أنظر إليه تعجباً فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا لعلك تعجب مما ترى؟ فقلت: يابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك، فقال: يا ثوري كان ذلك زمان إقتار وافتقار، وكانوا يعلمون على قدر إقتاره وافتقاره وهذا زمان قد أسبل كل شيء عزاليه[2]، ثم حسر رُدن[3] جبّته فإذا تحتها جبّة صوف بيضاء يقصر الذّيل عن الذّيل والرُّدن عن الرُّدن، وقال: يا ثوري لبسنا هذا لله تعالى وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه»[4].

وقال الهياج بن بسطام: كان جعفر بن محمد عليه السلام يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء، وكان يقول:

«لا يتم المعروف إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره»[5].

وعن صالح بن الأسود قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول:

---

(١) مطالب السؤول: ص ٨١.
(٢) العزالي: جمع عزلاء وهو فم المزادة الأسفل وهو كناية عن وفور النعمة ورخاء العيش.
(٣) حسر: كشف، الردن: أصل الكم وطرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير.
(٤) مطالب السؤول: ص ٨١.
(٥) المصدر السابق.

«سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدّثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي»[1].

ووقع بين جعفر عليه السلام وعبد الله بن الحسن كلام في صدر يوم فأغلظ له في القول عبد الله بن الحسن ثم افترقا وراحا إلى المسجد فالتقيا على باب المسجد، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد لعبد الله ابن الحسن:

«كيف أمسيت يا أبا محمد؟ فقال: بخير ـ كما يقول المغضب ـ فقال: يا أبا محمد أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب؟ فقال: لا تزال تجيء بالشيء لا نعرفه، قال: فإني أتلو عليك به قرآناً، قال: وذلك أيضاً، قال: نعم قال: فهاته، قال: قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾، قال: فلا تراني بعدها قاطعاً رحماً»[2].

وروي أنه كتب المنصور إلى جعفر بن محمد عليه السلام:

«لما لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّيك ولا تراها نقمة فنعزّيك بها فما نصنع عندك؟ قال: فكتب إليه تصحبنا لتنصحنا، فأجابه: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك، فقال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة،

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٢٤.
(٢) المصدر السابق.

وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا»[1].

ونقل الناس عن جعفر عليه السلام ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه. ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل.

وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت العقول وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات.

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٤٠.

كرامات الإمام الصادق عليه السلام

حدث عبد الله بن الفضل بن ربيع عن أبيه فقال:

«حجّ المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع عنه لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال: ابعث من يأتي به متعباً، فتغافل عنه فأرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ عليه فيها وأمره أن يبعث من يحضر جعفراً ففعل، فلما أتاه قال له الربيع: يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير الله. فقال جعفر: لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثم إن الربيع أعلم المنصور بحضوره، فلما دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ وقال: أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يبعثون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال له: يا أمير المؤمنين إن سليمان أُعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظُلِم فغفر وأنت من ذلك السنخ فلما سمع المنصور ذلك منه قال: إليّ وعندي أبا عبد الله! أنت البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك

الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم، ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يغلف لحية جعفر بيده حتى تركها تقطر ثم قال: قم في حفظ الله وكلاءته، ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، انصرف أبا عبد الله! في حفظه وكنفه فانصرف، قال الربيع: فلحقته وقلت: إني قد رأيت قبل ما لم تره ورأيت بعدك ما لا رأيته، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: «اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام، واغفر لي بقدرتك عليّ ولا أهلك وأنت رجائي، اللهم أنت أكبر وأجلّ مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شرّه» ففعل الله بي ما رأيت»[١].

وروي أيضاً:

«إن داود بن علي بن عبد الله قتل المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمد عليه السلام وأخذ ماله، فدخل عليه جعفر وهو يجرّ رداءه فقال له: قتلت مولاي وأخذت ماله، أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب، أما والله لأدعونّ عليك. فقال له داود ابن عليّ: أتهددنا بدعائك ـ كالمستهزىء بقوله ـ فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره فلم يزل ليله كله قائماً وقاعداً حتى إذا كان السحر فسُمع وهو يقول في مناماته، «يا

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٢٣.

ذا القوّة القوية، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزّة التي كل خلقك لها ذليل، أكفني هذا الطاغية، وانتقم لي منه» فما كانت إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل: قد مات داود بن علي»[1].

وعن أبي بصير قال:

«دخلت المدينة وكان معي جويرية لي فأصبت منها، ثم خرجت إلى الحمام فلقيت أصحابنا وهم متوجّهون إلى أبي عبد الله جعفرعليه السلام فخشيت أن يسبقوني ويفوتني الدخول إليه فمشيت معهم حتى دخلت الدار فلما تمثّلت بين يدي أبي عبد اللهعليه السلام نظر إلي ثم قال: يا أبا بصير أما علمت أن بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب، فاستحييت وقلت: يابن رسول الله إني لقيت أصحابنا وخشيت أن يفوتني الدخول معهم ولن أعود إلى مثلها وخرجت»[2].

وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: قال لي أبو عبد اللهعليه السلام:

«إذا لقيت السبع ما تقول له؟ قلت: ما أدري، قال: إذا لقيته فاقرأ في وجهه آية الكرسي وقل: «عزمت عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد رسول الله، وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده» فإنه ينصرف عنك.

قال عبد الله الكاهلي: فقدمت إلى الكوفة فخرجت مع

---

(١) إرشاد المفيد: ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق.

ابن عم لي إلى قرية فإذا سبع قد اعترض لنا في الطريق فقرأت في وجهه آية الكرسي وقلت: عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة محمد رسول الله، وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة أمير المؤمنين والأئمة من بعده إلا تنحيّت عن طريقنا ولم تؤذنا فإنا لا نؤذيك، فنظرت إليه وقد طأطأ رأسه وأدخل ذنبه بين رجليه وتنكّب الطريق راجعاً من حيث جاء، فقال ابن عمي: ما سمعت كلاماً قطّ أحسن من كلام سمعته منك، فقلت: إن هذا الكلام سمعته من جعفر بن محمد عليه السلام فقال: أشهد أنه إمام مفترض، وما كان ابن عمي يعرف قليلاً ولا كثيراً فدخلت على أبي عبد الله من قابل وأخبرته الخبر وما كنا فيه فقال:

أتراني لم أشهدكم، بئس ما رأيت إن لي مع كل وليّ أُذناً سامعة وعيناً ناظرة ولساناً ناطقاً، ثم قال لي: يا عبد الله بن يحيى أنا والله صرفته عنكما وعلامة ذلك أنكما كنتما في البداءة على شاطىء النهر وأن اسم ابن عمك أثبت عندنا وما كان الله يميته حتى يعرِّفه هذا الأمر، فرجعت إلى الكوفة فأخبرت ابن عمي بمقالة أبي عبد الله ففرح وسُرّ به سروراً شديداً، وما زال مستبصراً بذلك إلى أن مات»[1].

وعن شعيب العرقوفي قال:

«دخلت أنا وعليّ بن أبي حمزة وأبو بصير على أبي عبد الله عليه السلام ومعي ثلاثمائة دينار فصببتها قدّامه، فأخذ

(١) كشف الغمة: ص ٢٢٤.

منها أبو عبد الله عليه السلام قبضة لنفسه ورد الباقي عليّ وقال: يا شعيب ردّ هذه المائة دينار إلى موضعها الذي أخذتها منه، قال شعيب: فقضينا حوائجنا جميعاً فقال لي أبو بصير: يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردّها عليك أبو عبد الله عليه السلام؟ قلت: أخذتها من عروة أخي سراً منه وهو لا يعلمها، فقال لي أبو بصير: يا شعيب أعطاك أبو عبد الله عليه السلام والله علامة الإمامة، ثم قال لي أبو بصير وعليّ بن أبي حمزة: يا شعيب عدّ الدنانير، فعددتها فإذا هي مائة دينار لا تزيد ديناراً ولا تنقص ديناراً»[١].

وعن سماعة بن مهران قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئاً: يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك في الطريق، إياك أن تكون فحاشاً أو صخّاباً أو لعّاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك، وذلك أنه كان يظلمني فقال: لئن كان ظلمك لقد أربيت عليه، إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: استغفر ربك يا سماعة مما كان، وإياك أن تعود، فقلت: إني أستغفر الله مما كان ولا أعود»[٢].

وعن أبي بصير قال:

«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم جالساً إذ قال: يا أبا محمد هل تعرف إمامك؟ قلت: إي والله الذي لا

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣٤.
(٢) المصدر السابق.

إله إلا هو وأنت هو، ووضعت يدي على ركبته أو فخذه فقال: صدقت قد عرفت فاستمسك به، قلت: أريد أن تعطيني علامة الإمامة، قال: يا أبا محمد ليس بعد المعرفة علامة، قلت: ازداد إيماناً ويقيناً، قال: يا أبا محمد ترجع إلى الكوفة وقد ولد لك عيسى ومن بعد عيسى محمد، ومن بعدهما ابنتان، واعلم أن ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وأنسابهم، وما يلدون إلى يوم القيامة وأخرجها فإذا هي صفراء مدرجة»[١].

وعن أبي بصير قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا محمد ما فعل أبو حمزة الثمالي؟ قل: خلّفته صحيحاً، قال: إذا رجعت فأقرئه مني السلام وأعلمه أنه يموت في شهر كذا في يوم كذا، قال أبو بصير: لقد كان فيه أنس وكان لكم شيعة قال: صدقت يا أبا محمد وما عندنا خير له، قلت: وشيعتكم معكم؟ قال: نعم إذا هو خاف الله وراقب الله وتوقّى الذنوب كان معنا في درجتنا، قال أبو بصير: فرجعنا تلك السنة فما لبث أبو حمزة الثمالي إلا يسيراً حتى مات»[٢].

وروي أيضاً:

«إن عبد الحميد بن أبي العلاء وكان صديقاً لمحمد بن

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣٤.
(٢) المصدر السابق.

عبد الله بن الحسين وكان به خاصّاً، فأخذه أبو جعفر الدوانيقي وحبسه في المضيق زماناً ثم إنه وافى الموسم فلما كان يوم عرفة لقيه أبو عبد الله عليه السلام في الموقف فقال: يا محمد ما فعل صديقك عبد الحميد؟ فقال: أخذه أبو جعفر [الدوانيقي] فحبسه في المضيق زماناً فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده ساعة ثم التفت إلى محمد بن عبد الله فقال: يا محمد قد والله خلّي سبيل صاحبك، قال محمد: فسألت عبد الحميد أي ساعة أخرجك أبو جعفر؟ قال أخرجني: يوم عرفة بعد العصر»[1].

عن رزّام بن مسلم مولى خالد بن عبد الله القسريّ قال:

«إن المنصور قال لحاجبه: إذا دخل علي جعفر بن محمد فاقتله قبل أن يصل إليّ، فدخل أبو عبد الله عليه السلام فجلس فأرسل إلى الحاجب فدعاه فنظر إليه وجعفر قاعدٌ عنده، قال: ثم قال له: عد إلى مكانك. قال وأقبل يضرب يده على يده، فلما قام أبو عبد الله عليه السلام وخرج، ودعا حاجبه فقال: بأي شيء أمرتك؟ قال: لا والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج، ولا رأيته إلا وهو قاعد عندك»[2].

وعن عبد العزيز القزّاز قال:

«كنت أقول فيهم بالربوبية، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا عبد العزيز ضع لي ماءً أتوضأ ففعلت،

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق.

فلما دخل قلت في نفسي: هذا الذي قلت فيه ما قلت يتوضأ، فلما خرج قال: يا عبد العزيز لا تحمّل على البناء فوق ما يطيق فينهدم، إنا عبيدٌ مخلوقون»[1].

وقيل:

«أراد عبد الله بن محمد الخروج مع زيد فنهاه أبو عبد الله عليه السلام وعظم عليه فأبى إلا الخروج مع زيد، فقال له: لكأني والله بك بعد زيد وقد خمّرت كما تخمّرت النساء، وحملت في هودج وصنع بك ما يصنع بالنساء فلما كان من أمر زيد ما كان جمع أصحابنا لعبد الله ابن محمد دنانير وتكاروا له وأخذوه حتى إذا صاروا به إلى الصحراء وشيعوه فتبسَّم فقالوا له: ما الذي أضحكك فقال: والله تعجبت من صاحبكم إني ذكرت وقد نهاني عن الخروج فلم أطعه وأخبرني بهذا الأمر الذي أنا فيه، وقال: لكأني بك وقد خمّرت كما تخمّرت النساء وجعلت في هودج فعجبت»[2].

وعن أبي حمزة الثمالي قال:

«كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بين مكّة والمدينة إذا التفت عن يساره رأى كلباً أسود فقال: مالك قبّحك الله ما أشد مسارعتك، وإذا هو شبيه الطائر، فقال: هذا عثم بريد الجن مات هشام الساعة وهو يطير ينعاه في كل بلد»[3].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وعن أبي بصير قال:

«كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالاً فاتخذ قياناً، وكان يجمع الجموع ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته، فلما ألححت عليه قال: يا هذا أنا رجل مبتلى وأنت رجل معافى، فلو عرّفتني لصاحبك رجوت أن يستنقذني الله بك، فوقع ذلك في قلبي فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله، فقال لي: إذا رجعت الكوفة فإنه سيأتيك فقل له يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنّة، قال: فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتبسته حتى خلا منزلي فقلت: يا هذا إني ذكرتك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: اقرئه السلام وقل له: يترك ما عليه وأضمن له على الله الجنّة فبكى، ثم قال: الله أقال لك جعفر هذا؟ قال: فحلفت له أنه قال لي ما قلت لك، فقال لي: حسبك ومضى، فلما كان بعد أيام بعث إليّ ودعاني فإذا هو خلف باب داره عريان، فقال: يا أبا بصير ما بقي في منزلي شيء إلا وقد أخرجته وأنا كما ترى، فمشيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به، ثم لم يأت عليه إلا أيام يسيرة حتى بعث إليّ أنّي عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه وأُعالجه حتى نزل به الموت فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه، ثم غُشي عليه غشية ثم أفاق، فقال: يا أبا بصير قد وفى صاحبك لنا ثم مات، فحججت فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت قال لي مبتدئاً من داخل البيت وإحدى رجليّ

في الصحن واخرى في دهليز داره: يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك»[1].

وعن إسحاق بن عمار قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لنا أموالاً ونحن نعامل الناس، أخاف إن حدث حدث أن تتفرّق أموالنا، فقال: اجمع مالك في شهر ربيع، قال علي بن إسماعيل: فمات إسحاق في شهر ربيع»[2].

وروي عن المفضل بن عمر قال:

«كنت أمشي مع أبي عبد الله عليه السلام بمكة أو بمنى إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة وهي مع صبية لها يبكون، فقال: ما شأنك؟ قالت: كنت وصبياني نعيش من لبن هذه البقرة وقد ماتت فتحيّرت في أمري. قال: أفتحبين أن يحييها الله لك؟ قالت: أو تسخر مني مع مصيبتي؟ قال: كلا ما أردت ذلك، ثم دعا بدعاء وركضها برجله وصاح بها فقامت البقرة مسرعة سويّة فقالت: عيسى ابن مريم وربِّ الكعبة، فدخل الصادق عليه السلام بين جمع من الناس فلم تعرفه المرأة»[3].

وقال علي بن أبي حمزة:

«حججت مع الصادق عليه السلام فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة فحرَّك شفتيه بدعاء لم أفهمه ثم قال:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الخرائج والجرائح: ص ١٩٨.

يا نخلة أطعمينا بما جعل الله فيك من رزق عباده فنظرت إلى النخلة وقد تمايلت نحو الصادق عليه السلام وعليها أعذاقها وفيها الرُّطب، فقال: أُدن وسمّ وكل، فأكلنا منها رطباً وأعذب رطب وأطيبه وإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم سحراً أعظم من هذا فقال الصادق عليه السلام:

نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر ولا كاهن، ندعو الله فيجيب وإن أحببت أن أدعو الله فيمسخك كلباً تهتدي إلى منزلك فتدخل عليهم وتبصبص لأهلك فعلت، فقال الأعرابي بجهله: نعم؛ فدعا الله فصار كلباً في الوقت ومضى على وجهه، فقال لي الصادق عليه السلام إتبعه، فأتبعته حتى صار إلى حيّه فدخل إلى منزله وجعل يبصبص لأهله وولده فأخذوا له العصا حتى أخرجوه فانصرفت إلى الصادق عليه السلام فأخبرته بما كان، فبينا نحن في هذا الحديث إذ أقبل حتى وقف بين يدي الصادق عليه السلام وجعلت دموعه تسيل وأقبل يتمرّغ في التراب ويعوي، فرحمه فدعا له فعاد أعرابياً، فقال له الصادق عليه السلام: هل آمنت يا أعرابي؟ قال: نعم ألفاً ألفاً»[١].

وعن يونس بن ظبيان قال:

«كنت عند الصادق عليه السلام مع جماعة فقلت قول الله لإبراهيم: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أكانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟ فقال:

---

(١) الخرائج والجرائح: ص ١٩٨.

أتحبون أن أريكم مثله؟ قلت: نعم، قال: يا طاووس فإذا طاووس طار إلى حضرته، فقال: يا غراب فإذا غراب بين يديه، فقال: يا بازي فإذا باز بين يديه، ثم قال: يا حمامة فإذا حمامة بين يديه، ثم أمر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها وأن يخلّط ذلك كلّه بعضه ببعض، ثم أخذ برأس الطاووس فقال: يا طاووس فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميّز من غيره حتى التصق ذلك برأسه، فقام بين يديه حيّاً، ثم صاح بالغراب فقام حيّاً والبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها أحياء بين يديه»[1].

وروى هشام بن الحكم:

«إن رجلاً من أهل الجبل أتى أبا عبد الله عليه السلام ومعه عشرة آلاف درهم وقال: اشتر لي داراً أنزلها إذا قدمت وعيالي، ثم مضى إلى مكّة فلما حجّ وانصرف أنزله الصادق عليه السلام في داره وقال: اشتريت لك داراً في الفردوس الأعلى حدّها الأوّل إلى رسول الله والثاني إلى عليّ والثالث إلى الحسن والرابع إلى الحسين، وكتبت الصكَّ به، فلما سمع الرجل ذلك قال: رضيت ففرّق الصادق عليه السلام تلك الدنانير على أولاد الحسن والحسين، وانصرف الرجل فلما وصل إلى منزله اعتلّ علّة الموت فلما حضرته الوفاة جمع أهل بيته وحلّفهم أن يجعلوا الصكّ معه في قبره، ففعلوا ذلك فلما أصبحوا وغدوا إلى قبره وجدوا الصك على وجه القبر

(١) الخرائج والجرائح: ص ١٩٨.

وعلى ظهره مكتوب، وفى لي وليُّ الله جعفر بن محمد بما وعدني»[1].

وروي أيضاً:

«أن حمّاد بن عيسى سأل الصادق عليه السلام أن يدعو له ليرزقه الله ما يحجّ به كثيراً ويرزقه ضياعاً حسنة وداراً حسنة وزوجة من أهل البيوتات، وأولاداً أبراراً فقال عليه السلام: اللهم ارزق حماد بن عيسى ما يحج به خمسين حجّة وارزقه ضياعاً حسنة وداراً حسناء وزوجة صالحة من قوم كرام وأولاداً أبراراً، قال بعض من حضر: دخلت بعض السنين على حماد بن عيسى في داره بالبصرة فقال: أتذكر دعاء الصادق عليه السلام لي؟ قلت نعم، قال: هذه داري وليس في البلد مثلها، وضياعي أحسن الضياع، وزوجتي أخذتها من قوم كرام، وأولادي من تعرفهم، وقد حججت ثماني وأربعين حجّة قال: فحجّ حمّاد حجتين بعد ذلك فلما خرج في الحجة الحادية والخمسين وصل إلى الجحفة وأراد أن يحرم دخل وادياً ليغتسل فأخذه السيل ومرّ به فتبعه غلمانه فأخرجوه من الماء ميتاً فسمّي حمّاد غريق الجحفة»[2].

---

(١) الخرائج والجرائح: ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق.

أخلاق الإمام الكاظم عليه السلام

هو أبو الحسن الأول موسى بن جعفر عليه السلام؛ له ألقاب متعدّدة: الكاظم وهو أشهرها، والصابر والصالح والأمين. وأما مناقبه فكثيرة ولو لم يكن منها إلا العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة.

قال الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ:

كان أبو الحسن موسى عليه السلام أعبد أهل زمانه وأفقههم، وأسخاهم كفّاً، وأكرمهم نفساً، وروي أنه كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقّب حتى تطلع الشمس، ويخرّ لله ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس، وكان يدعو كثيراً ويقول: «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب» ويكرر ذلك. وكان من دعائه عليه السلام: «عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك» وكان يبكي من خشية الله حتى تخضلَّ لحيته بالدموع، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والدقيق والتمر فيوصل إليهم ذلك ولا

يعلمون من أي جهة هو[1].

قال محمد بن عبيد الله البكري:

«قدمت المدينة أطلب ديناً فأعياني فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فشكوت إليه فأتيته في ضيعته فخرج إليّ ومعه غلام معه منسف فيه قديد مجزّع ليس معه غيره فأكل وأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي فذكرت له قصتي، فدخل فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج إليّ فقال لغلامه: اذهب ثم مدّ يده إليّ فدفع إليّ صرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم قام فولّى، فقمت فركبت دابتي وانصرفت»[2].

وروي:

«إن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان في المدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه ويشتم علياً عليه السلام فقال له أصحابه: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك وزجرهم أشد الزجر، فسأل عن العمري فأخبر أنه خرج إلى زرع له فخرج إليه ودخل المزرعة بحماره فصاح به العمري لا توطّىء زرعنا فتوطّأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عند وباسطه وضاحكه، وقال: كم غرمت على زرعك هذا؟ فقال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن يحصل فيه؟ قال: لست أعلم الغيب. قال: إنما قلت:

---

(١) الإرشاد: ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق.

كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: ارتجي فيه مائتي دينار، فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو. قال: فقام العمريّ وقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه فتبسّم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف وراح إلى المسجد فوجد العمري جالسا فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، قال: فوثب إليه أصحابه فقالوا: ما قصتك قد كنت تقول غير هذا؟ فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام، فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لأصحابه الذين أشاروا بقتل العمري: كيف رأيتم، أصلحت أمره وكفيت شره»[1].

ولقد كان الإمام الكاظم عليه السلام أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله عز وجل وأحسنهم صوتاً بالقرآن. وكان إذا قرأ يحزن ويَبكي ويُبكي السامعين. وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين، وسمي بالكاظم لما كظمه من الغيظ، وصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم.

(١) الإرشاد: ص ٢٧٨.

كرامات الإمام الكاظم عليه السلام

قال شقيق البلخي:

«خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضينّ إليه ولأوبخنّه فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شفيق ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عظيم قد تكلّم بما في نفسي ونطق باسمي وما هذا إلا عبد صالح لألحقنّه ولأسألنّه أن يخالني[1]، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة فإذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحلّه فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رآني مقبلاً قال: يا شفيق

(١) يخالني: أي يتخذني خولاً بعد أن انفرد والخول: العبيد والإماء والحاشية.

اتـــل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثم تركني ومضى قلت: إن هذا الفتى لمن الإبدال قد تكلّم على سرّي مرتين. فلما نزلنا زبالة إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقى ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء وقـــوتـــي إذا أردت طـــعـــامـــا

اللهم أنت سيدي ما لي غيرها فلا تعدمنيها، قال سقيف: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمدّ يده وأخذ الركوة وملأها ماء فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحرّكه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك، قال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك بربك، ثم ناولني الركوة، فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذُّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى دخلنا مكّة فرأيته ليلة إلى جنب قبّة الميزاب في نصف الليل قائماً يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبّح ثم أقام فصلى الغداء وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته وإذا له غاشية وموالٍ[1] وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلّمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقلت: قد عجبت أن تكون هذه

---

(١) غاشية فلان: خدمه وزواره.

العجائب إلا لمثل هذا السيد»[1].

وعن هشام بن سالم قال:

«كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمد ابن النعمان صاحب الطاق، والناس يجتمعون على عبد الله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا والناس عنده فسألنا عن الزكاة في كم تجب، فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم، فقلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف، قلنا: والله ما يقول المرجئة هذا، فقال: والله ما أدري ما يقول المرجئة، قال: فخرجنا ضلاّلاً لا ندري إلى أين نتوجه وإلى من نقصد، نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى المعتزلة، إلى الزيدية، فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومىء إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم فقلت للأحول: تنحّ فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريدني ليس يريدك فتنحّ عني لا تهلك فتعين على نفسك، فتنحّى عنّي بعيداً، وتبعت الشيخ وذلك أني ظننت أني لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام، ثم خلّاني ومضى، فإذا خادم بالباب

---

(١) مطالب السؤول: ص ٨٣.

فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن موسى عليه السلام فقال لي ابتداءً منه: إليّ إليّ، لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الزيدية، قلت جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضى موتاً؟ قال: نعم، قلت: فمن لنا بعده؟ قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك إن أخاك عبد الله يزعم أنه الإمام من بعد أبيه، فقال: عبد الله يريد أن لا يعبد الله. قال: قلت: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك، فقلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا أقول ذلك، قال: فقلت في نفسي إني لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له: جعلت فداك أعليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله تعالى إعظاماً له وهيبة، ثم قلت له: جعلت فداك أسألك عما كنت أسأل أباك؟ قال: سل تخبر ولا تذع فإن أذعت فهو الذبح، قال: فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعة أبيك ضُلاّلٌ فألقي إليهم هذا الأمر وادعوهم إليك فقد أخذت عليّ الكتمان؟ قال: من آنست منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان فإن أذاع فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه، فقال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى وحدّثته القصّة، قال: ثم لقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه، ثم لقينا الناس أفواجاً فكلٌّ من دخل عليه

قطع عليه إلا طائفة عمار الساباطي، وبقي عبد الله لا يدخل عليه من الناس إلا قليل»[1].

عن الرافعي قال:

«كان لي ابن عم يقال له: الحسن بن عبد الله، وكان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان السلطان يتقيه لجدِّه في الدين والعبادة، وربما استقبل السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يغضبه فكان يحتمل ذلك لصلاحه، فلم تزل هذه حاله حتى دخل يوماً المسجد وفيه أبو الحسن موسى عليه السلام فأومى إليه فأتاه فقال له: يا أبا علي ما أحبَّ إليّ ما أنت فيه وأسرني به إلا أنه ليس لك معرفة فاطلب المعرفة. فقال له: جعلت فداك وما المعرفة؟ قال: اذهب تفقّه واطلب الحديث، قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء المدينة، ثم اعرض علي الحديث. قال: فذهب فكتب، ثم جاء فقرأه عليه فأسقطه كله، ثم قال: اذهب فأعرف وكان الرجل معنياً بدينه، قال: فلم يزل يترصد أبا الحسن عليه السلام حتى خرج إلى ضيعة له، فلقيه في الطريق فقال له: جعلت فداك إني أحتج عليك بين يدي الله عز وجل فدلّني على ما يجب عليّ معرفته، قال: فأخبره أبو الحسن عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وحقه وما يجب له وأمر الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد صلوات الله عليهم ثم سكت، فقال له: جعلت فداك فمن الإمام اليوم؟

(١) الإرشاد: ص ٢٧٢.

قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: نعم، قال: أنا هو، قال: فشيء استدل به قال: اذهب إلى تلك الشجرة وأشار إلى بعض شجر أُمّ غيلان وقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: اقبلي، قال: فأتاها فرأيتها والله تخدُّ الأرض خدّا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها بالرجوع فرجعت، قال: فأقرّ به، ثم لزم الصمت والعبادة، وكان لا يراه أحدٌ يتكلم بعد ذلك»[1].

وعن أبي سنان قال:

«حمل الرشيد في بعض الأيام إلى عليّ بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان من جملتها درّاعة[2] خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب، فأنفذ علي بن يقطين جُلّ تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وأنفذ في جملتها الدرّاعة وأضاف عليه مالاً كان أعدّه على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله، فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب وردّ الدرّاعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين، وكتب إليه: احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه، فارتاب علي بن يقطين بردّها عليه ولم يدر ما سبب ذلك واحتفظ بالدرّاعة. فلما كان بعد ذلك بأيام تغيّر علي بن يقطين على غلام كان يختصُّ به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام، ويقف

---

(١) الإرشاد: ص ٢٧٣.

(٢) درّاعة: جبّة مشقوقة المقدّم.

على ما يحمله إليه في كل وقت من مال وثياب وألطاف وغير ذلك. فسعى به[1] إلى الرشيد فقال: إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه ماله في كل سنة، وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين (أي الرشيد) في وقت كذا وكذا. فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضباً شديداً وقال: لأكشفنّ عن هذه الحال، فإن كان الأمر كما تقول: أزهقت نفسه، وأنفذ في الوقت وطلب علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه قال له: ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟ قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم وفيه طيب قد احتفظت بها وقلّما أصبحت إلا وفتحت السفط ونظرت إليها تبرّكاً بها وقبّلتها ورددتها إلى موضعها، وكلّما أمسيت صنعت مثل ذلك، فقال: أحضرها الساعة قال: نعم يا أمير المؤمنين واستدعى بعض خدمه فقال له: امض إلى البيت الفلاني من داري، فخذ مفتاحه من خازني وافتحه ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسفط الذي فيه بختمه، ولم يلبث الغلام أن جاء بالسفط مختوماً فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه فلما فتحه نظر إلى الدرّاعة فيه بحالها مطوية مدفوفة في الطيب، فسكن الرشيد من غضبه، ثم قال لعلي بن يقطين: أرددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلن نصدق عليك بعدها ساعياً، وأمر أن يتبع بجائزة سنيّة، وأمر بضرب الساعي به

(١) سعى به: وشى به.

ألف سوط فضرب نحو خمسمائة فمات في ذلك»[1].

وروى محمد بن المفضل:

«اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء أهي من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع، فكتب ابن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك إن أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين فإن رأيت أن تكتب إليّ بخطك ما يكون عملي عليه فعلت إن شاء الله، فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء والذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتخلّل شعر لحيتك وتغسل وجهك ثلاثاً، وتغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً وتمسح رأسك كلّه، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما وتغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره. فلما وصل الكتاب إلى عليّ بن يقطين تعجّب مما رسم له فيه مما أجمع العصابة على خلافة، ثم قال: مولاي أعلم بما قال وأنا أمتثل أمره. فكان عليّ يعمل في وضوئه على هذا الحد ويخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالاً لأمر أبي الحسن عليه السلام، وسعي لعلي بن يقطين إلى الرشيد وقيل: إنه رافضي مخالف لك، فقال الرشيد لبعض خاصّته قد كثر عندي القول في عليّ بن يقطين والقِرف[2] له بخلافنا وميله إلى الرّوافض، ولست أرى

---

(١) الإرشاد: ص ٢٧٥.

(٢) القِرفة: التهمة.

في خدمته لي تقصيراً، وقد امتحنته مراراً فظهر لي ما يقرّف به، وأحب أن أستبري أمره من حيث لا يشعر بذلك، فيحترز مني. فقيل له: إن الرافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة في الوضوء فتخفّفه ولا ترى غسل الرجلين، فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فقال: أجل إن هذا الوجه يظهر به أمره ثم تركه مدّة وناطه[1] بشيء من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة، وكان علي بن يقطين يخلو إلى حجرة في الدار لوضوئه وصلاته، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء الحائط بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو. فدعا بالماء للوضوء فتوضأ كما تقدّم، والرشيد ينظر إليه، فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه، ثم ناداه كذب يا عليّ بن يقطين من زعم أنك من الرافضة وصلحت حاله عنده. وورد عليه كتاب أبي الحسنعليه السلام ابتداء: من الآن يا عليّ بن يقطين توضأ كما أمر الله تعالى، اغسل وجهك مرّة فريضة وأخرى إسباغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدّم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كنا نخاف عليك والسلام»[2].

وروى علي بن أبي حمزة البطائني أنه:

«خرج أبو الحسنعليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى

---

(١) ناطه: شغله بشغل.

(٢) الإرشاد: ص ٢٧٥.

ضيعة له خارجة عنها، فصحبته وكان عليه السلام راكباً بغلة وأنا على حمار لي فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأحجمت عنه[1] خوفاً وأقدم أبو الحسن عليه السلام غير مكترث به فرأيت الأسد يتذلّل لأبي الحسن عليه السلام ويهمهم فوقف أبو الحسن عليه السلام كالمصغي إلى همهمته، فوضع الأسد يده على كفل بغلته وقد همّتني نفسي من ذلك فخفت خوفاً عظيماً، ثم تنحى الأسد إلى جانب الطريق وحوّل أبو الحسن موسى وجهه إلى القبلة وجعل يدعو ويحرّك شفتيه بما لم أفهمه، ثم أومأ بيده إلى الأسد أن امض، فهمهم الأسد همهمة طويلة وأبو الحسن عليه السلام يقول: آمين آمين، وانصرف الأسد حتى غاب عنا، ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه، فلما بعدنا عن الموضع قلت له: جعلت فداك ما شأن هذا الأسد فقد خفته والله عليك وعجبت من شأنه معك؟ فقال لي أبو الحسن عليه السلام: إنه خرج يشكو إليّ عسر الولادة على لبوته، وسألني أن أسأل الله أن يفرّج عنها ففعلت ذلك فألقي في روعي أنها تلد ذكراً فخبّرته بذلك، فقال: امض في حفظ الله فلا سلّط الله عليك ولا على ذرّيتك ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع، فقلت: آمين»[2].

وعن أبي خالد الزبالي قال:

«قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زبالة[3] ومعه جماعة من

---

(١) أحجم عن الأمر: كفت.

(٢) الإرشاد: ص ٢٧٥.

(٣) الزبالة: القليل من الماء، اسم مكان.

أصحاب المهدي، بعثهم في اشخاصه القدمة الأولى، قال: وأمرني بشراء حوائج له فنظر إليّ وأنا مغموم فقال: يا أبا خالد ما لي أراك مغموماً؟ قلت: هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك، فقال: يا أبا خالد ليس عليّ منه بأس، إذا كان شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا فانتظرني في أوّل الليل فإني أوافيك إن شاء الله. فما كانت لي همّة إلا إحصاء الشهور والأيام حتى كان ذلك اليوم فغدوت إلى أوّل الليل في المصر الذي وعدني، فلم أزل أنتظره إلى أن كانت الشمس أن تغيب، ووسوس الشيطان في صدري فلم أر أحداً، ثم تخوّفت أن أشكّ، فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السلام أمام القطار[1] على بغلة له فقال: إيه أبا خالد، قلت: لبيك يابن رسول الله، قال: لا تشكنّ ودّ الشيطان أنك شككت؟ قلت: قد كان ذلك، قال: فسررت بتخليصه، فقلت: الحمد لله الذي خلّصك من الطاغية، فقال: يا أبا خالد إن لهم إليّ عودة لا أتخلص منها»[2].

وعن عيسى المدائني قال:

«خرجت سنة إلى مكّة فأقمت بها، ثم قلت: أقيم بالمدينة مثل ما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي، فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلّى إلى جنب دار أبي ذر - ره - فجعلت أختلف إلى سيدي فأصابنا مطرٌ شديد

---

(١) القطار: لعلها القافلة.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧.

بالمدينة فأتينا أبا الحسن عليه السلام يوماً فسلمنا عليه وأنّ السماء تهطل فلما دخلت ابتدأني فقال لي: وعليك السلام يا عيسى ارجع فقد انهدم بيتك على متاعك فانصرفت فإذا البيت قد انهدم على المتاع، فاكتريت قوماً يكشفون عن متاعي فاستخرجته فما ذهب لي شيء ولا افتقدته غير سطل كان لي، فأتيته في الغدّ مسلّماً عليه قال:

هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف؟ فقلت: ما فقدت شيئاً غير سطل كان لي أتوضأ فيه فقدته، فأطرق مليّاً، ثم رفع رأسه إليّ فقال: قد ظننت أنك أُنسيته فسل جارية ربِّ الدار وقل لها: أنت رفعت السطل فرديه فإنها ستردّه عليك، فلما انصرفت أتيت جارية ربِّ الدار فقلت لها: إني أُنسيت سطلاً في الخلاء فدخلت فأخذته فردّيه أتوضأ فيه، قال: فردّته»[1].

وعن عليّ بن أبي حمزة قال:

«كنت عند أبي الحسن عليه السلام جالساً إذ أتاه رجل يقال له: جندب، فسلم عليه ثم جلس فسأل أبا الحسن عليه السلام فأكثر السؤال، ثم قال: يا جندب ما فعل أخوك؟ فقال: الخير وهو يقرئك السلام فقال له: عظم الله أجرك في أخيك، فقال له: ورد إليّ كتابه من الكوفة لثلاثة عشر يوماً بالسلامة، فقال له: يا جندب والله مات بعد كتابه إليك بيومين ودفع إلى امرأته مالاً وقال

(١) كشف الغمة: ص ٢٥١.

لها: ليكن هذا المال عندك فإذا قدم أخي فادفعيه إليه وقد أودعه الأرض في البيت الذي يسكنه، فإذا أنت أتيتها فتلطف لها وأطمعها في نفسك فإنها ستدفعه إليك، قال علي: وكان جندب رجلاً جميلاً، قال علي: فلقيت جندباً بعدما فقد أبو الحسن فسألته عما كان قال أبو الحسن، فقال: يا عليّ صدق والله سيدي ما زاد ولا نقص لا في الكتاب ولا في المال»[1].

وعن إسحاق بن عمار قال:

«سمعت العبد الصالحعليه السلام ينعى إلى رجل نفسه فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته؟ فالتفت إليّ شبه المغضب، فقال: يا إسحاق قد كان رُشيد الهجري وكان من المستضعفين يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولى بذلك، يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فعمرك قد فني وأنت تموت إلى سنتين وأخوتك وأهل بيتك لا يلبثون من بعدك إلا يسيراً حتى تفترق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً ويصيرون لإخوانهم ومن يعرفهم رحمة حتى يشمت بهم عدوّهم، قال: قال إسحاق: فإني أستغفر الله مما عرض في صدري، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا سنتين حتى مات، ثم ما ذهبت الأيام حتى قام بنو عمّار بأموال الناس وأفلسوا أقبح إفلاس، فجاء ما قال أبو الحسنعليه السلام فيهم ما غادر قليلاً ولا كثيراً»[2].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٥١.

(٢) المصدر السابق.

وعن زكريا بن آدم قال:

«سمعت الرضاعليه السلام يقول: كان أبيعليه السلام ممن تكلّم في المهد»[1].

عن أبي الحسن الرضاعليه السلام قال:

«قال أبو موسى بن جعفرعليه السلام لعلي بن حمزة مبتدئاً: إنك لتلقى رجلاً من أهل المغرب يسألك عني فقل: هو الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله الصادقعليه السلام، فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه، قال: فما علامته؟ قالعليه السلام: رجل جسيم طويل اسمه يعقوب بن يزيد، وهو رائد قومه، وإن أراد الدخول إليّ فأحضره عندي، قال علي بن أبي حمزة: فوالله إني لفي الطواف إذ أقبل رجل جسيم طويل فقال لي: إني أريد أن أسألك عن صاحبك، قلت: عن أي الأصحاب؟ قال: عن موسى بن جعفر، قلت: فما اسمك؟ قال: يعقوب بن يزيد، قلت: من أين أنت؟ قال: من المغرب، قلت: من أين عرفتني؟ قال: أتاني آت في منامي فقال لي: ألق عليّ بن أبي حمزة فسله عن جميع ما تحتاج إليه فسألت عنك فدللت عليك، فقلت: اقعد في هذا الموضع حتى أفرغ من طوافي وأعود إليك. فطفت ثم أتيته فكلّمته فوجدته رجلاً عاقلاً فطناً فالتمس مني الوصول إلى موسى بن جعفرعليه السلام، فأوصلته إليه فلما رآه، قال: يا يعقوب بن يزيد قدمت أمس ووقع بينك وبين أخيك خصومة في

(١) كشف الغمة: ص ٢٥١.

موضع كذا حتى تشاتمتما، وليس هذا من ديني ولا من دين آبائي فلا نأمر بهذا أحداً من شيعتنا، فاتق الله فإنكما ستفترقان عن قريب بموت، أما أخوك فيموت في سفرته هذه قبل أن يصل إلى أهله وتندم أنت على ما كان منك إليه فإنكما تقاطعتما وتدابرتما فقطع عليكما أعماركما فقال الرجل: يابن رسول الله فأنا متى يكون أجلي؟ قال: كان قد حضر أجلك فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزل كذا وكذا فنسأ الله في أجلك[1] عشرين حجة، قال علي بن حمزة: فلقيت الرجل من قابل بمكة فأخبرني أن أخاه توفيّ ودفنه في الطريق قبل أن يصير إلى أهله»[2].

وعن المفضّل بن عمار قال:

«لما مضى الصادقعليه السلام كانت وصيّته إلى موسى الكاظمعليه السلام، فادعى أخوه عبد الله الإمامة وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك وهو المعروف بالأفطح. فأمر موسىعليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره وأرسل إلى أخيه عبد الله فسأله أن يصير إليه فلما صار إليه ومع موسىعليه السلام جماعة من الإمامية فلما جلس أمر موسىعليه السلام بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمراً، ثم قام موسىعليه السلام وجلس بثيابه وسط النار وأقبل يتحدّث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد الله:

(١) نسأ الله في أجلك: أخّر الله أجلك.

(٢) كتاب الراوندي: ص ٢٠٠.

إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس، قالوا: فرأينا عبد الله وقد تغيّر لونه وقام يجرّ رداءه حتى خرج من دار موسى عليه السلام»[1].

وعن علي بن أبي حمزة قال:

«أخذ بيدي موسى بن جعفر عليه السلام يوماً فخرجنا من المدينة إلى الصحراء فإذا نحن برجل مغربي على الطريق يبكي وبين يديه حمار ميّت ورحله مطروح فقال له موسى عليه السلام: ما شأنك؟ قال: كنت مع رفقائي نريد الحجّ فمات حماري ههنا ومضى أصحابي وبقيت متميزاً ليس لي شيء أحمل عليه، فقال موسى عليه السلام: لعلّه لم يمت، قال: ما ترحمني حتى تلهو بي، قال: إنّ عندي رقية جيدة، قال الرجل: ما يكفيني ما أنا فيه حتى تستهزىء بي، فدنا موسى عليه السلام من الحمار ودعا بشيء لم أسمعه وأخذ قضيباً كان مطروحاً فنخسه به وصاح عليه، فوثب قائماً صحيحاً سليماً فقال: يا مغربي ترى ههنا شيئاً في الاستهزاء؟ الحق بأصحابك، ومضينا وتركناه، قال علي بن أبي حمزة: فكنت واقفاً يوماً على زمزم فإذا المغربي هناك فلمّا رآني عدا إليّ وقبّلني فرحاً وسروراً، فقلت: ما حال حمارك؟ فقال: هو والله صحيح سليم ولا أدري من أين منَّ الله عليّ فأحيى لي حماري بعد موته. فقلت له: قد بلغت حاجتك فلا تسأل عما لا تبلغ معرفته[2].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق.

أخلاق الإمام الرضا عليه السلام

لقد تقدّم القول في أمير المؤمنين علي وفي زين العابدين علي، وجاء علي الرضا ثالثهما. ومن أمعن فكره ونظره وجدَه في الحقيقة وارثهما فيحكم أنه ثالث العليين. نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أحلّه الخليفة المأمون على مهجته، وشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له عليه على رؤوس الأشهاد عقدة نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه حاتمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته[1] الكريمة نبوية. فهما عدّ من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فصّل في مناقبه كان عليه السلام أعلى رتبة منه.

فهو أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام، من ألقابه الرضا والصابر والرضيّ والوفيّ وأشهرها الرضا. أما مناقبه وصفاته فتشهد له بعلو قدره وسمو شأنه.

فعن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال في السنة التي قبض فيها:

«إني أؤخذ في هذه السنة والأمر إلى ابني علي سميّ عليّ وعليّ، فأما عليّ الأول فعلي بن أبي طالب عليه السلام،

(١) أرومة الشيء: أصله.

وأما عليّ الآخر فعلي بن الحسين عليه السلام، أعطي فهم الأوّل وحلمه ونصره وودّه وورعه ودينه، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره»[1].

وقال إبراهيم بن العباس:

«ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه، وكان كلامه كلّه وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد، وكان يختمه في كل ثلاث، وكان يقول: «لو أني أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت ولكني ما مررت بآية قط إلا فكّرت فيها وفي أي شيء نزلت»[2].

وعنه أنه قال أيضاً:

«ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام وشهدت منه ما لم أشاهد من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلام قط ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة قدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قطّ، ولا اتّكأ بين يديه جليس له قط. ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسّم، وكان إذا خلا ونصبت الموائد أجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتى

---

(١) الإرشاد: ص ٢٨٧.

(٢) كشف الغمة: ص ٢٧٤.

البوّاب والسائس، وكان قليل النوم بالليل كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول: ذلك صيام الدهر، وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك منه لا يكون إلا في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه»[1].

وعن محمد بن عبّاد قال:

«كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم»[2].

وعن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال:

«ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلا أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعته عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ المسائل فأجيب عنها»[3].

قال أبو الصلت:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

«لقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى عن أبيه أن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم عليّ ابن موسى عالم آل محمد فسلوه عن أديانكم، واحفظوها ما يقول لكم فإني سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لي: إنّ عالم آل محمد لفي صلبك، أوليتني أدركته فإنه يسمّى أمير المؤمنين»[1].

وعن محمد بن يحيى الفارسي قال:

«نظر أبو نواس إلى الرضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه وسلم عليه وقال: يابن رسول الله قلت فيك أبياتاً وأحبّ أن تسمعها مني، فقال: هات فأنشأ يقول.... فقال الرضا عليه السلام: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد، يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال له: ثلاثمائة دينار، فقال: اعطها إياه، ثم قال: لعلّه استقللها، يا غلام سق إليه البغلة»[2].

وعن أبي الصلت الهروي قال:

«كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة. فقلت له يوماً: يابن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها فقال: يا أبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتخّذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

«أوتينا فصل الخطاب» وهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات»[1].

وعن الرضاعليه السلام أنه قال له رجل من خراسان:

«يابن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيّب في ثراكم لحمي، فقال له الرضاعليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة واللحم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تعالى من حقي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة ومن كنا شفعاءه نجا، ولو كان عليه مثل ذنوب الثقلين الجن والإنس، ولقد حدّثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»[2].

وأما ما روي عنه من فنون العلم وأنواع الحكم والأخبار المجموعة المنثورة والمحاسن مع أهل المال والمناظرات المشهورة فأكثر من أن تحصى. وقد اشتمل كتاب عيون أخبار الرضاعليه السلام على الكثير منها.

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق.

كرامات الإمام الرضا عليه السلام

عن ابن طلحة قال:

«إنه عليه السلام لما جعله الخليفة المأمون وليّ عهده وأقامه خليفة من بعده كان في حاشية المأمون أُناس كرهوا ذلك وخافوا خروج الخلافة عن بني العباس وعودها إلى بني فاطمة عليها السلام. فحصل عندهم من الرضا عليه السلام نفور وافر وكان من عادة الرضا عليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه يبادر من بالدهليز من الحاشية إلى السلام عليه ورفع الستر بين يديه ليدخل، فلما حصلت لهم النفرة عنه تواصوا فيما بينهم وقالوا: إذا جاء ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر فاتفقوا على ذلك. فبينا هم قعود إذ جاء الرضا عليه السلام على عادته فلم يملكوا لأنفسهم أن سلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون كونهم ما وقفوا على ما اتفقوا عليه، وقالوا: النوبة الآتية إذا جاء لا نرفعه له، فلما كان في ذلك اليوم جاء فقاموا وسلّموا عليه ووقفوا ولم يبتدروا إلى رفع الستر فأرسل الله ريحاً شديداً دخلت في الستر حتى رفعته أكثر مما كانوا يرفعونه ثم دخل فسكنت

الريح فعاد الستر إلى ما كان فلما خرج عادت الريح حتى دخلت في الستر فرفعته حتى خرج ثم سكنت فعاد الستر. فلما ذهب أقبل بعضهم على بعض وقالوا: هل رأيتم؟ قالوا: نعم، فقال بعضهم لبعض: يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة ولله به عناية، ألم تروا أنكم لمّا لم ترفعوا له الستر أرسل الله الريح وسخّرها له لرفع الستار كما سخرها لسليمان فارجعوا إلى خدمته فهو خير لكم فعادوا إلى ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم فيه»[1].

وروي أيضاً:

«إنه كان بخراسان امرأة تسمّى زينب فادّعت أنها علوية من سلالة فاطمةعليها السلام وصارت تصول على أهل خراسان بنسبها فسمع بها علي الرضاعليه السلام فلم يعرف نسبها فأحضرها إليه فردّ نسبها وقال: هذه كذابة فسفّهت عليه وقالت: كما قدحت في نسبي فأنا أقدح في نسبك. فأخذته الغيرة العلوية فقال لسلطان خراسان ـ وكان لذلك السلطان بخراسان موضع واسع فيه سباع مسلسلة للانتقام من المفسدين يسمّى ذلك الموضع بركة السباع. فأخذ الرضاعليه السلام بيد تلك المرأة فأحضرها عند السلطان فقال: هذه كذابة على عليّ وفاطمةعليهما السلام وليست من نسلهما، فإنّ من كان حقاً بضعة من فاطمة وعليّ فإن لحمه حرام على السباع فألقوها في بركة السباع، فإن كانت صادقة فإن السباع

(١) مطالب السؤول: ص ٨٥.

لا تقربها وإن كانت كاذبة فتفترسها. فلما سمعت ذلك منه قالت: فانزل أنت إن كنت صادقاً فإنها لا تقربك ولا تفترسك، فلم يكلمها وقام فقال له السلطان إلى أين؟ قال: إلى بركة السباع والله لأنزلنّ إليها، فقام السلطان والناس والحاشية وجاؤوا وفتحوا باب البركة فنزل الرضا عليه السلام والناس ينظرون من أعلى البركة فلما حصل بين السباع أقعت[1] جميعها على الأرض على أذنابها وصار يأتي إلى واحد واحد يمسح وجهه ورأسه وظهره، والسبع يبصبص به؛ هكذا إلى أن أتى على الجميع، ثم طلع والناس يبصرونه فقال لذلك السلطان: أنزل هذه الكذابة على عليّ وفاطمة عليهما السلام لتبيّن لك، فامتنعت فألزمها ذلك السلطان وأمر أعوانه بإلقائها فمذ رآها السباع وثبوا عليها وافترسوها فاشتهر اسمها بخراسان بزينب الكذابة وحديثها هناك مشهور»[2].

قال هرثمة بن أعين وهو الذي كان في خدمة الخليفة إلا أنه كان محبّاً لأهل البيت إلى الغاية يأخذ نفسه أنه من شيعتهم وكان قائماً بمصالح الرضا عليه السلام باذلاً نفسه بين يديه متقرباً إلى الله بخدمته ـ قال ـ:

«طلبني سيدي الرضا عليه السلام وقال: يا هرثمة إني مطّلعك على حالة تكون عندك سراً لا تظهرها وأنا حيّ وإن أظهرتها حال حياتي كنت خصمك عند الله تعالى، فعاهدته أني لا أعلم بها أحداً ما لم تأمرني فقال:

(١) أقعت: من الأقعاء وهي الجلوس على الذنب.

(٢) مطالب السؤول: ص ٨٥.

اعلم أني بعد أيام آكل عنباً ورمّاناً مفتوتاً فأموت، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري ومدفني خلف قبر أبيه الرشيد وإن الله لا يقدره على ذلك فإن الأرض تشتد عليهم فلا يستطيع أحد حفر شيء منها، وإنما قبري في بقعة كذا لموضع عيّنه، فإذا أنا متُّ وجهّزت فأعلمه بجميع ما قلت لك وقل له أن يتأنّ في الصلاة عليّ فإنه يأتي رجل عربي متلثّم على بعير مسرع وعليه وعثاء السفر فينزل عن بعيره ويصلّي عليّ فإذا صلّى عليّ وحملت فاقصد المكان الذي عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً على وجه الأرض تجد قبراً معمولاً في قعره ماء أبيض فإذا كشفته نضب الماء فهو مدفني فادفني فيه والله الله أن تخبر بهذا قبل موتي. قال هرثمة: فوالله ما طالت الأيام حتى أكل عنباً ورمّاناً كثيراً فمات ودخلت على الخليفة فوجدته يبكي عليه فقلت له: يا أمير المؤمنين عاهدني الرضا على أمر أقوله لك وقصصت عليه تلك القصة التي قالها من أوّلها إلى آخرها وهو يعجب مما أقوله فأمر بتجهيزه فلما تجهّز تأنّى بالصلاة عليه وإذا بالرجل قد أقبل على بعير من الصحراء مسرعاً ولم يكلّم أحداً ثم دخل إلى جنازته فوقف وصلّى عليه فخرج وصلى الناس عليه وأمر الخليفة بطلب الرجل ففاتهم فلم يعلموا له خبراً ثم أمر الخليفة أن يحفر له قبر خلف قبر أبيه الرشيد فعجز الحافرون عن الحفر فذهب إلى موضع ضريحه الآن فبقدر ما كشف عن وجه الأرض ظهر قبر محفور كشفت عنه طوابيقه وإذا في قعره ماء أبيض كما

قال، فأعلمت الخليفة به فحضر وأبصره على الصورة التي ذكرها ونضب الماء ودفن فيه، ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب من قوله فلم يزل عنه كلمة واحدة عما ذكره وازداد تأسفه عليه وكلما خلوت في خدمته يقول: يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن فأعيد عليه الحديث فيتلهّف عليه»[1].

وعن علي بن ميثم عن أبيه قال: سمعت أمّي تقول:

«سمعت نجمة أم الرضا عليه السلام تقول: لما حملت بابني لم أشعر بثقل الحمل وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً من بطني فيفزعني ذلك فيهولني فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً، فلما وضعته وقع على الأرض واضعاً يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء يحرّك شفتيه كأنه يتكلم فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال: هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربّك، فناولته إياه في خرقة بيضاء فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ودعا بماء الفرات وحنّكه به، ثم ردّه إلي فقال: خذيه فإنه بقيّة الله في أرضه»[2].

وعن جعفر بن محمد بن يونس قال:

«كتب رجل إلى الرضا عليه السلام يسأله عن مسائل وأراد أن يسأله عن الثوب الملحّم يلبسه المحرم وعن سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله فنسي ذلك وتلهف عليه فجاء جواب السائل وفيه: لا بأس في الإحرام في الثوب الملحّم،

(١) مطالب السؤول: ص ٨٥.

(٢) عيون أخبار الرضا: ص ١٤.

واعلم أن سلاح رسول الله ﷺ فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور مع كل عالم حيث دار»[1].

وعن سليمان الجعفري قال:

«قال لي الرضا عليه السلام: اشتر لي جارية من صفتها كذا وكذا، فأصبت له جارية عند رجل من أهل المدينة كما وصف فاشتريتها ودفعت الثمن إلى مولاها، وجئت بها إليه فأعجبته، ووقعت منه، فمكثت أياماً ثم لقيني مولاها وهو يبكي فقال: الله الله فيّ لست أتهنّأ العيش وليس لي قرار ولا نوم فكلّم أبا الحسن يردّ عليّ الجارية ويأخذ الثمن، فقلت: المجنون أنت أنا أجترىء على أن أقول له بردّها عليك، فدخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي مبتدئاً يا سلمان صاحب الجارية يريد أن أردّها عليه؟ فقلت: إي والله وقد سألني أن أسألك، قال: فردّها عليه وخذ الثمن، ففعلت، ومكثت أياماً ثم لقيني مولاها فقال: جعلت فداك سلّ أبا الحسن أن يقبل الجارية فإني لا أنتفع بها ولا أقدر أن أدنو منها، قلت: إني لا أقدر أن ابتدئه بهذا، قال: فدخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: يا سليمان صاحب الجارية يريد أن أقبضها منه وأردّ عليه الثمن، قلت: قد سألني ذلك، فقال: ردّ عليّ الجارية وخذ الثمن»[2].

قال عبد الله بن المغيرة:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

«كنت واقفاً وحججت على ذلك، فلما صرت إلى مكّة اختلج في صدري شيء، فتعلقت بالملتزم وقلت: اللهم قد علمت طلبتي وإرادتي فأرشدني إلى خير الأديان، فوقع في نفسي أن آتي الرضاعليه السلام فأتيت المدينة فوقفت ببابه وقلت للغلام: قل لمولاك رجل من أهل العراق بالباب فسمعت نداءه وهو يقول: ادخل يا عبد الله بن المغيرة، فدخلت فلما نظر إليّ قال: قد أجاب الله دعوتك وهداك لدينك، فقلت: أشهد أنك حجة الله وأمين الله على خلقه»[1].

عن الحسن بن عليّ الوشاء قال: قال فلان بن محرز:

«بلغنا أن أبا عبد الله عليه السلام كان إذا أراد أن يعاود أهله للجماع توضأ وضوء الصلاة فأحب أن تسأل أبا الحسن الثاني عليه السلام عن ذلك، قال الوشاء: فدخلت عليه فابتدأني من غير أن أسأله فقال: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا جامع وأراد أن يعاود توضأ للصلاة، وإذا أراد أيضاً توضأ للصلاة، فخرجت إلى الرجل، فقلت: قد أجابني عن مسألتك من غير أن أسأله»[2].

عن محمد بن الفضل قال:

«لما كان في السنة التي بطش هارون بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى، وحبس يحيى بن خالد، ونزل بهم ما نزل، كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال: إني كنت أدعو الله على

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا، فاستجاب الله لي فيهم اليوم، ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى بطش بجعفر وحبس يحيى وتغيّرت حالهم»[1].

وعن الحسن بن موسى قال:

«خرجنا مع أبي الحسنعليه السلام إلى بعض أمواله بيوم لا سحاب فيه، فلما برزنا قال: حملتم معكم المماطر؟ قلنا: لا ولا حاجة لنا إليها وليس سحاب ولا نتخوّف المطر، فقال: لكني قد حملته وستمطرون، فما مضينا إلا يسيراً حتى ارتفعت سحابة، ومطرنا حتى أهمّتنا أنفسنا، فما بقي منا أحد إلا ابتلّ غيره»[2].

وروى إسماعيل بن أبي الحسن:

«كنت مع الرضاعليه السلام وقد قال بيده إلى الأرض كأنه يكشف شيئاً فظهرت سبائك ذهب ثم مسح بيده عليها فغابت، فقلت له: لو أعطيتني واحدة منها قال: إن هذا الأمر لم يئن وقته»[3].

قال أبو إسماعيل السندي:

«سمعت بالسند أن لله حجّة في العرب، فخرجت منها في الطلب فدللت على الرضاعليه السلام فقصدته ودخلت عليه وأنا لا أعرف من العربية كلمة واحدة، فسلّمت بالسندية فردّ عليّ بلغتي فجعلت أكلّمه بالسندية وهو

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

يجيبني بها، فقلت: إني سمعت بالسند أن لله حجّة في العرب، فخرجت في الطلب، فقال: قد بلغني ذلك نعم أنا هو. ثم قال: سل عمّا تريد فسألته عما أردته فلمّا أردت القيام من عنده قلت: إني لا أحسن من العربية شيئاً فادع الله أن يلهمنيها لأتكلم بها مع أهلها، فمسح يده على شفتي فتكلمت بالعربية من وقتي»[1].

وقال سليمان الجعفري:

«كنت مع الرضاعليه السلام في حائط له، وأنا أحدّثه إذ جاء عصفور فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضرب، فقال: أتدري ما يقول؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: قال لي: إن حيّة تريد أن تأكل فراخي في البيت فقم وخذ تلك النسعة[2] وادخل البيت واقتل الحيّة، قال: فقمت وأخذت النسعة ودخلت البيت وإذا حيّة تجول في البيت فقتلتها»[3].

وعن بكر بن صالح قال:

«أتيت الرضاعليه السلام قلت: امرأتي أخت محمد بن سنان بها حمل، فادع الله أن يجعله ذكراً، قال: هما اثنان قلت في نفسي: محمد وعليّ بعد انصرافي فدعاني بعد ذلك فقال: سمّ واحداً علياً والأخرى أم عمر، فقدمت الكوفة وقد ولد لي غلام وجارية في بطن، فسمّيت

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٠.لمصدر السابق.

(٢) النسعة: حبل عريض طويل تشد به الرحال.

(٣) كشف الغمة: ص ٢٧٠.

كما أمرني، وقلت لأمي: ما معنى أم عمر؟ فقالت: إن أمي كانت تدعى أم عمر»[1].

وعن الوشاء قال:

«إن الرضا عليه السلام قال بخراسان: حيث أرادوا بي الخروج جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع ثم فرّقت فيهم اثني عشر ألفاً، ثم قال: إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»[2].

وعن علي بن أحمد الوشاء الكوفي قال:

«خرجت من الكوفة إلى خراسان، فقالت لي ابنتي: يا أبه خذ هذه الحلّة فبعها واشتر لي بثمنها فيروزجاً[3]، قال: فأخذتها وشددتها في بعض متاعي، فلما قدمت ونزلت في بعض الفنادق[4]، فإذا غلمان علي بن موسى الرضا عليه السلام قد جاءني وقالوا: نريد حلّة نكفّن بها بعض غلماننا فقلت: ما عندي شيء فمضوا ثم عادوا وقالوا: مولانا يقرأ عليك السلام ويقول: إنّ معك حلّة في السفط الفلاني دفعتها إليك ابنتك وقالت: اشتر لي بثمنها فيروزجاً وهذا ثمنها، فدفعتها إليهم وقلت: والله لأسألنّه عن مسائل فإن أجابني عنها فهو هو. فكتبتها وغدوت إلى بابه فلم أصل إليه لكثرة ازدحام الناس عليه فبينما أنا جالس إذ خرج إليّ خادم

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فيروزج: حجر كريم.

(٤) الفندق: الخان.

فقال: يا عليّ بن أحمد هذه جوابات مسائلك التي معك فأخذتها فإذا هي جواب مسائلي بعينها»[1].

وعن الحسين بن بشار قال:

«قال لي الرضا عليه السلام: إن عبد الله يقتل محمداً، فقلت: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون؟! قال: نعم عبد الله الذي بخراسان يقتل محمد بن زبيدة الذي هو ببغداد، فقتله»[2].

وأما ما ظهر للناس بعد وفاته عليه السلام من بركة مشهده المقدّس وعلاماته والعجائب التي شاهدها الخلق فيه وأذعن الخاص والعام له، وأقرّ المخالف والمؤالف به إلى يومنا هذا فكثير خارج عن حدّ الإحصاء والعدّ، ولقد برأ فيه الأكمه والأبرص، واستجيبت فيه الدعوات، وقضيت ببركته الحاجات وكشفت به الملمات.

---

(١) أعلام الورى: ص ٣٠٩.

(٢) أعلام الورى: ص ٣١٠.

أخلاق الإمام الجواد عليه السلام

هو أبو جعفر محمد الثاني. وقد تقدم من آبائه أبو جعفر محمد وهو الباقر بن علي فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني. وهو إن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر. وله ألقاب منها الجواد، والتقي والمنتخب والمرتضى والقانع.

وأما مناقبه فما اتسعت له حلبات مجالها، ولا امتدّت له أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلٰهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها وأسجالها، فقلّ في الدنيا مقامه فلم تطل بها مدّته ولا امتدت فيها أيامه.

غير أن الله جلّ وعلا خصّه بمنقبة متألقة في مطالع التعظيم بارقة أنوارها، مرتفعة في معارج التفضيل قيمة أقدارها، بازغة لأبصار ذوي البصائر بيّنة منارها، بادية لعقول أهل المعرفة آية آثارها. وهي وإن كانت صورتها واحدة إلا أن معانيها كثيرة. وصيغتها وإن كانت صغيرة إلا أن دلالتها كبيرة وهي: أن أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام لما توفّي والده عليّ الرضا عليه السلام وقدم الخليفة المأمون بعد وفاته عليه السلام بسنة إلى بغداد اتفق أنه خرج يوماً إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ومحمد عليه السلام واقف معهم وكان عمره يومئذٍ إحدى عشرة سنة فما حولها. فلما أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر عليه السلام فلم يبرح مكانه. فقرب منه الخليفة فنظر إليه وقال: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمد عليه السلام مسرعاً: يا أمير المؤمنين لم

يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن أنك لا تضرّ من لا ذنب له. فوقف وقد أعجبه كلامه ووجهه وقال له: ما اسمك؟ قال: محمد، قال: ابن من أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا ابن عليّ الرضا، فترحم على أبيه وساق إلى وجهته، وكان معه بزاة[1] فلما بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله على درّاجة فغاب عن عينه غيبة طويلة ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم أخذها في يده وعاد إلى داره من الطريق الذي أقبل منه، فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة وأبو جعفرعليه السلام لم ينصرف، ووقف كما وقف أولاً فلما دنا منه الخليفة قال: يا محمد! قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ما في يدي؟ فألهمه الله عز وجل أن قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء فيختبرون بها سلالة أهل بيت النبوة، فلما سمع المأمون كلامه عجب منه وجعل يطيل نظره إليه وقال: أنت ابن الرضا حقاً، وضاعف إحسانه إليه. وفي هذه الواقعة منقبة تكفيه عن غيرها ويستغنى بها عن سواها[2].

وكان المأمون قد شغف بأبي جعفرعليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوجه ابنته أمّ الفضل وحملها إلى المدينة[3].

وروي أنه: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفرعليه السلام

---

(١) بزاة: جمع البازي وهو طائر معروف.
(٢) مطالب السؤول: ص ٨٧.
(٣) الإرشاد: ص ٢٩٩.

بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك واستكبروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام. فاجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه وقالوا له: ننشدك يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإنا نخاف أن تخرج عنا أمراً قد ملّكناه الله وتنزع عنا عزّاً قد ألبسناه، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم وتصغيرهم وقد كنا في فزعة من عملك مع الرضا حتى كفانا الله المهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلحُ لذلك دون غيره.
فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم. وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم أعوذ بالله من ذلك. والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا، وقد سألته أن يقوم بالأمر وانزعه عن نفسي فأبى وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وأما أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبرُّزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فتعلموا أن الرأي ما رأيت فيه.
فقالوا: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدّب ويتفقه في الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك. فقال لهم: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيت عِلْمُهم من الله. فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.
فقالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لنصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، وإن عجز عن ذلك كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم.

فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذٍ قاضي الزمان على أن يسأله مسائل لا يعرف الجواب عنها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك. وعادوا إلى أمير المؤمنين فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم في ذلك فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفرعليه السلام دُستٌ، ويجعل له فيه مسورتان[1] ففعل ذلك، وخرج أبو جعفرعليه السلام فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفرعليه السلام. فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل عليه يحيى ابن أكثم فقال: تأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: سل إنْ شئت، قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ ليلاً كان قتله للصيد أو نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟ فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج (تردد) حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه. ثم أقبل على أبي جعفرعليه السلام فقال: اخطب يا أبا جعفر، فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال له المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا

---

(١) مسورة: متكأ من أدم.

مزوّجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفرعليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريّته والأصفياء من عترته، أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم إنّ محمد بن علي ابن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمدصلى الله عليه وآله وهو خمسمائة درهم جياداً[1] فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر: قد قبلت ذلك ورضيت به. فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة وأخرج الخدم مثل سفينة من فضّة وفيها الغالية فتطيب الخاصّة والعامة ووضعت الموائد فأكلوا، وفرّقت الجوائز على قدر المراتب وانصرف الناس وبقي من الخاصة من بقي.

ثم قال المأمون لأبي جعفرعليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفرعليه السلام: نعم؛ إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة. فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء

---

(١) جياداً: جمع جيد وهو ضد الرديء.

مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحجّ نحره بمنى، وإن كان في إحرامه للعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ.

والكفارة على الحرّ في نفسه وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة. والنادم يسقط عنه ندمه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه عقاب الآخرة.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك، فقال أبو جعفرعليه السلام: خبّرني في الرجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار، وكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له؟ ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدنا. فقال أبو جعفرعليه السلام:

هذه أمة لرجل في الناس نظر إليها أجنبي في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له. قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ويطرف القول فيما تقدّمه من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم وما رأى. فقال لهم:

ويحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، فإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ: افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم له به ولم يدع أحداً في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين وهما دون الست ولم يبايع صبياً غيرهما. أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟!

قالوا: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ثم نهض، فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام، وصار القوّاد والحجّاب والخاصّة والعامّة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة وفيها بنادق المسك وزعفران معجون وفي أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنيّة وإقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصّته، فكان كل من يقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه[1] فأطلق له، ووضعت البدر فنثر ما فيها. على القوّاد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المسلمين ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدّة حياته، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته[2].

وروى الناس أن أمّ الفضل كتبت إلى المأمون من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام وتقول: إنه يتسرَّى عليّ ويغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنية إنا لم نزوجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالاً فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها[3].

---

(١) إلتمسه: أي يلتمس ما في الرقعة من الجوائز.

(٢) الإرشاد: ص ٣٠٤.

(٣) الإرشاد: ص ٣٠٤.

كرامات الإمام الجواد عليه السلام

من كرامات الإمام الجواد عليه السلام ما رواه علي بن خالد قال:

«كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتي به من الشام مكبولاً وقالوا: إنه تنبأ. فأتيت الباب ودفعت شيئاً للبوابين حتى وصلت إليه فإذا رجل له فهم وعقل فقلت له: يا هذا ما قصّتك؟ قال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه فقال لي: قم فقمت معه فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصلّى وصلّيت معه، ثم انصرف وانصرفت معه ومشى قليلاً فإذا نحن بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى وصلّيت معه، ثم خرج وخرجت معه، فمشى قليلاً فإذا أنا بمكة فطاف بالبيت وطفت معه، ثم خرج ومشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله بالشام وغاب الشخص عني. فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت. فلما كان في العام المقبل

رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به، فدعاني فأجبته، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له: سألتك بالحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا أخبرتني من أنت؟ فقال: أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره فرقى ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزّيات فبعث إليّ من أخذني وكبّلني في الحديد وحملني إلى العراق، وحبست كما ترى وادُّعي عليَّ المحال. فقلت له: فأرفع عنك القصة إلى محمد بن عبد الملك الزّيات؟ فقال: افعل.

فكتبت عنه قصّة وشرحت أمره فيها ورفعتها إلى محمد فوقّع في ظهرها: قلّ للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومنها إلى المدينة ومنها إلى مكة ومنها إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا. قال علي بن خالد: فغمّني ذلك من أمره ورقّقت له وانصرفت محزوناً عليه، فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه الحال وآمره بالصبر والعزاء، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وأصحاب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون، فسألت عن حالهم فقيل لي: المحمول من الشام المتنبىء أفتقد البارحة من الحبس فلا ندري أخسفت به الأرض أو اختطفته الطير، وكان هذا الرجل أعني علي بن خالد زيدياً فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده»[1].

---

(١) الإرشاد: ص ٣٠٤.

وعن محمد بن عليّ الهاشمي قال:

«دخلت على أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام صبيحة عرسه بنت المأمون وكنت تناولت من الليل دواء، فأوّل من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش وكرهت أنا أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي وقال: أراك عطشان؟ قلت: أجل، قال: يا غلام اسقنا ماءً، فقلت في نفسي الساعة يأتونه بماء مسموم واغتممت لذلك. فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسّم في وجهي ثم قال: يا غلام ناولني الماء فتناوله فشرب ثم ناولني وتبسّم فشربت وأطلت عنده فعطشت فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرّة الأولى وشرب ثم ناولني وتبسّم.

قال محمد بن علي الهاشمي: والله إني لأظن أن أبا جعفر عليه السلام يعلم ما في النفوس كما يقول الرافضة»[1].

وعن داود بن القاسم الجعفري قال:

«دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت عليّ، فاغتممت فتناول أحدها وقال: هذه رقعة ريّان بن شبيب، ثم تناول الثانية فقال: هذه رقعة فلان، فقلت: نعم، فبهتّ أنظر إليه فتبسّم وأخذ الثالثة فقال: هذه رقعة فلان، فقلت: نعم جعلت فداك. فأعطاني ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه ثم قال: أما إنه سيقول لك. دلّني على

---

(١) الإرشاد: ص ٣٠٦.

حريف يشتري لي بها متاعاً فدلّه عليه. قال: فأتيته بالدنانير فقال لي: يا أبا هاشم دلني على حريف يشتري لي بها متاعاً، فقلت: نعم. وكلمني في الطريق جمّال سألني أن أخاطبه في إدخاله (على الإمام الجوادعليه السلام) مع بعض أصحابه في أموره . فدخلت عليه لأكلّمه فوجدته يأكل ومعه جماعة، فلم أتمكن من كلامه، فقال لي: يا أبا هاشم كل ووضع بين يدي ما آكل منه، ثم قال ابتداء من غير مسألة: يا غلام انظر إلى الجمّال الذي أتانا به أبو هشام فضمّه إليك»[1].

وقال أبو هاشم:

«دخلت معه (الإمام الجوادعليه السلام) يوماً بستاناً فقلت له: جعلت فداك إني مولع بأكل الطين فادع الله لي، فسكت، ثم قال لي بعد أيام ابتداء منه: يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين. قال أبو هاشم: فما من شيء أبغض إليّ منه اليوم»[2].

وعن ابن بزيع العطار قال:

«قال أبو جعفرعليه السلام: «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً». فنظرنا فماتعليه السلام بعد ثلاثين شهراً»[3].

عن معمر بن خلاّد قال:

---

(١) الإرشاد: ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كشف الغمة: ص ٢٨٨.

«قال لي أبو جعفرعليه السلام: يا معمر اركب، قلت: إلى أين؟ قال: اركب كما يقال لك. قال: فركبت فانتهيت إلى واد أو إلى وهدة فقال لي: قف ههنا، قال: فوقفت فأتاني فقلت له: جعلت فداك أين كنت، قالعليه السلام: دفنت أبي الساعة وكان بخراسان»[(١)].

وعن عمران بن محمد الأشعري قال:

«دخلت على أبي جعفر الثانيعليه السلام فقضيت حوائجي فقلت: إن أم الحسن تقرئك السلام وتسألك ثوباً من ثيابك أجعله كفناً لها، فقال لي: قد استغنت عن ذلك. قال: فخرجت لست أدري ما معنى ذلك، فأتاني الخبر أنها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوماً أو أربعة عشر يوماً»[(٢)].

عن أميّة بن علي القيسي قال:

«دخلت أنا وحمّاد بن عيسى على أبي جعفرعليه السلام بالمدينة لنوّدعه فقال لنا: لا تخرجا اليوم وأقيما إلى غد فلما خرجنا من عنده قال لي حمّاد: أنا أخرج فقد خرج ثقلي، فقلت: أما أنا فأقيم. فخرج حمّاد فجرى الوادي تلك الليلة فغرق فيه»[(٣)].

وعن محمد بن ميمون:

«أنه كان مع الرضاعليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قال: فقلت له: إني أريد أن أتقدم إلى المدينة فأكتب معي كتاباً إلى أبي جعفرعليه السلام فتبسّم وكتب وصرت إلى المدينة وكان ذهب بصري. فأخرج الخادم أبا جعفر إلينا يحمله من المهد فناولته الكتاب فقال لموفق الخادم: فضّه وانشره، ففضّه ونشره بين يديه فنظر فيه، ثم قال لي: يا محمد ما حال بصرك؟ فقلت: يابن رسول الله اعتلّت عيناي فذهب بصري كما ترى، قال: فمدّ يده فمسح بها على عيني فعاد إليّ بصري كأصح ما كان، فقبّلت يده ورجله، وانصرفت من عنده وأنا بصير»[1].

وعن أبي بكر بن إسماعيل قال:

«قلت لأبي جعفر ابن الرضاعليه السلام؛ إن لي جارية تشتكي من ريح بها. قال: ائتني بها فأتيته بها، فقال لها: ما تشتكين يا جارية؟ قالت: ريحاً في ركبتي، فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت وما اشتكت وجعاً بعد ذلك»[2].

وعن قاسم بن المحسن قال:

«كنت فيما بين مكة والمدينة، فمرّ بي أعرابي ضعيف الحال فسألني شيئاً فرحمته، وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه فلما مضى عني هبّت ريح شديد (زوبعة) فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت وأين مرّت،

(١) الخرائج والجرائح: ص ٢٠٧.
(٢) كشف الغمة: ص ٢٨٩.

فلما دخلت على أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام قال لي: يا قاسم ذهبت عمامتك في الطريق؟ قلت: نعم، قال: يا غلام اخرج إليه عمامته فأخرج إليّ عمامتي بعينها، قلت: يابن رسول كيف صارت إليك؟ قال: تصدقت على الأعرابي فشكر الله لك وردّ عمامتك، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين».

وعن إسماعيل بن عباس الهاشمي قال:

«جئت إلى أبي جعفر عليه السلام يوم عيد فشكوت إليه ضيق المعاش فرفع المصلّى وأخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها فخرجتُ بها إلى السوق وكان فيها ستة عشر مثقالاً من الذهب»[١].

وعن أميّة بن علي قال:

«كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتون ويسلمون عليه (أي على الإمام الجواد) فدعا يوماً بجارية فقال لها: قولي لهم يتهيأون للمأتم، فلما تفرقوا قالوا: هلا سألنا مأتم من؟ فلما كان من الغد فعل مثل ذلك فقالوا: مأتم من؟ فقال: مأتم خير من على ظهرها. فأتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم»[٢].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٨٩.

(٢) كشف الغمة: ص ٣٣٤.

أخلاق الإمام الهادي عليه السلام

هو الإمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد النقي عليه السلام. أما ألقابه فالهادي وهو الأشهر عند الشيعة ومن ألقابه أيضاً الناصح والفتّاح والنقي والمرتضى. واشتهر بلقب المتوكل أيضاً إلا أنه كان يخفي ذلك ويأمر أصحابه أن يعرضوا عنه لكونه كان لقب الخليفة أمير المؤمنين المتوكل يومئذٍ.

ومن مناقبه ما روي:

«إن أبا الحسن عليه السلام كان يوماً قد خرج من سرَّ من رأى إلى قرية لمهمّ عرض له، فجاء رجل من الأعراب يطلبه، فقيل له قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده فلما وصل إليه قال: ما حاجتك؟ قال: رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله ولم أر من أقصده لقضائه سواك. فقال له أبو الحسن عليه السلام: طب نفساً وقرّ عيناً، ثم أنزله فلما أصبح ذلك اليوم قال له أبو الحسن عليه السلام: أريد منك حاجة؛ الله الله أن تخالفني فيها فقال الأعرابي لا أخالفك. فكتب أبو الحسن عليه السلام ورقة بخطّه معترفاً فيها أن عليه للأعرابي مالاً عيّنه فيها يرجح على دينه، وقال: خذ هذا الخط

فإذا وصلت إلى سرّ من رأى أحضر إليّ وعندي جماعة فطالبني به وأغلظ القول عليّ في ترك إيفائك إياه. الله الله في مخالفتي، فقال: افعل، وأخذ الخط فلما وصل أبو الحسن إلى سرّ من رأى وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم، حضر ذلك الرجل وأخرج الخط وطالبه وقال كما أوصاه، فألان أبو الحسن عليه السلام له القول ورفقه، وجعل يعتذر إليه ووعده بوفائه وطيبة نفسه، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكل فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن ثلاثون ألف درهم، فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الرجل فقال: خذ هذا المال واقض منه دينك وانفق الباقي على عيالك وأهلك واعذرنا. فقال له الأعرابي: يابن رسول الله؛ والله إن أملي كان يقصر عن ثلث هذا ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وأخذ المال وانصرف»[1].

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٤٠١.

كرامات الإمام الهادي عليه السلام

كرامات الإمام الهادي عليه السلام كثيرة وسنكتفي الآن بذكر نبذة منها.

عن خيران الأسباطي قال:

«قدمت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت جعلت فداك خلّفته في عافية وأنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام، قال: فقال لي: إن أهل المدينة يقولون إنه مات، فقلت: أنا أقرب الناس به عهداً، قال: فقال لي: إن الناس يقولون إنه مات، فلما قال لي: «إن الناس يقولون»... علمت أنه يعني نفسه. ثم قال لي: ما فعل جعفر؟ قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن، فقال: أما إنه صاحب الأمر، ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟ قلت: الناس معه والأمر أمره، فقال: أما إنه ميشوم عليه، قال: ثم سكت، وقال لي: لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا خيران مات الواثق وقد قعد جعفر المتوكل وقد قتل ابن الزيات، قلت: متى جعلت فداك؟ قال: بعد خروجك بستة أيام»[1].

(١) كشف الغمة: ص ٣٠٩.

عن ابن النعيم بن محمد الطاهري قال:

«مرض المتوكّل من خُراج خرج به فأشرف على الموت فلم يجرؤ أحد أن يمسّه بحديدة، فنذرت أمّه أن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمدعليه السلام مالاً جليلاً من مالها، وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل يعني أبا الحسنعليه السلام فسألته فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرّج الله به عنك، فقال: ابعثوا إليه، فمضى الرسول ورجع فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه[1] بماء الورد وضعوه على الخراج فإنه نافع بإذن الله إن شاء الله. فجعل من يحضر المتوكل يهزأ من قوله فقال لهم الفتح: وما يضرّ من تجربة ما قال فوالله إني لأرجو الصلاح به. فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه وبشّرت أم المتوكل بعافيته فحملت إلى أبي الحسنعليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها واستقلّ[2] المتوكل من علته، فلما كان بعد أيام سعى البطحاني بأبي الحسنعليه السلام إلى المتوكل وقال: عنده أموال وسلاح وتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه. قال إبراهيم بن محمد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسنعليه السلام بالليل ومعي سلّم فصعدت منه إلى السطح ونزلت من

---

(١) كسب الغنم: عصارة الدهن. دافه بالشيء: خلطه.

(٢) استقلّ: رفع علته.

الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى الدار، فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبّة صوف وقلنسوة منها وسجادته على حصير بين يديه، وهو مقبل على القبلة، فقال لي: دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة مختومة بختم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها فقال لي أبو الحسن عليه السلام: دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس، فأخذت ذلك وصرت إليه، فلما رأى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت فسألها عن البدرة، فأخبرني بعض الخدم الخاصة أنها قالت: كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس. وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فأمر أن يضمّ إلى البدرة بدرة أُخرى وقال لي: إحمل ذلك إلى أبي الحسن واردد السيف والكيس عليه بما فيه فحملت ذلك إليه، فاستحييت منه فقلت: يا سيدي عزّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك ولكني مأمور، وقال لي: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[1].

وعن محمد بن الفرج الرُّخجي قال:

«إن أبا الحسن عليه السلام كتب إليّ: يا محمد اجمع أمرك وخذ حذرك، فقال: أنا في جمع أمري لست أدري ما

---

(١) الإرشاد: ص ٣١٠.

الذي أراد بما كتب به إليّ حتى ورد عليّ رسول فحملني من مصر مصفّدا بالحديد وضرب على كل ما أملك فمكثت في السجن ثمان سنين، ثم ورد عليّ كتاب منه وأنا في السجن: يا محمد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي، فقرأت الكتاب وقلت في نفسي: يكتب أبو الحسن إليّ بهذا وأنا في السجن إن هذا لعجب فما مكثت إلا أياماً يسيرة حتى أفرج عني وحلّت قيودي وخلّي سبيلي، قال: فكتبت إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل الله أن يردّ ضياعي علي قال: فكتب إليّ: سوف تردّ عليك ضياعك ولا يضرّك أن لا تردّ عليك.

فلما شخص محمد بن الفرج الرخجي إلى العسكر كتب له برد ضياعه، فلم يصل الكتاب حتى مات»[1].

وعن صالح بن سعيد قال:

«دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم وروده سرّ من رأى بأمر المتوكل فقلت له: جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال: ههنا أنت يابن سعيد، ثم أومأ بيده فإذا أنا بروضات أنقات، وأنهار جاريات، وجنات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر تعجبي فقال لي: حيث كنا فهذا لنا يابن سعيد لسنا في خان الصعاليك»[2].

(١) الإرشاد: ص ٣١٠.

(٢) كشف الغمة: ص ٣١٤.

عن الحسن بن علي الوشاء قال:

«حدثتني أم محمد مولاة الرضا عليه السلام، قالت: جاء أبو الحسن عليه السلام حتى جلس في حجر أم أبيها بنت موسى عليه السلام فقالت له: ما لك؟ فقال لها: مات أبي والله الساعة فقالت له: لا تقل هذا، قال: هو والله ما أقول لك، فكتبنا ذلك اليوم فجاءت وفاة أبي جعفر عليه السلام في ذلك اليوم»[1].

وعن فاطمة بنت الهيثم قالت:

«كنت في دار أبي الحسن عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سروا به فصرت إليه فلم أر به سروراً، فقلت: يا سيدي مالي أراك غير مسرور، فقال: هون عليك فسيضلّ به خلق كثير»[2]

وروى أبو جعفر محمد بن علويّة أنه:

«كان في أصفهان رجل يقال له: عبد الرحمن وكان شيعياً، فقيل له: ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة علي النقي دون غيره من أهل الزمان؟ فقال: شاهدت ما يوجب عليّ وذلك أني كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين، فجئنا إلى باب المتوكل متظلمين، وكنا بباب المتوكل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد بن الرضا عليه السلام، فقلت لبعض

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق.

من حضر: من هذا الرجل قد أمر بإحضاره؟ فقيل: هذا رجل علوي يقول الرافضة بإمامته، ثم قيل: ونقدّر أن المتوكل يحضره للقتل. فقلت: لا أبرح من هنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أي رجل هو. قال: فأقبل راكباً على فرس وقد قام الناس صفين يمنة الطريق ويسرتها ينظر إليه فلما رأيته وقع حبّه في قلبي وجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكل فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابته لا يلتفت وأنا دائم الدعاء له، فلما صار إليّ أقبل عليّ بوجهه وقال: استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثر مالك وولدك. قال: فارتعدت ووقعت بين أصحابي فسألوني ما شأنك؟ فقلت: خير ولم أخبرهم. فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان ففتح الله عليّ وجوهاً من المال حتى أني أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى ما لي خارج داري، ورزقت عشرة من الأولاد وقد بلغت من عمري نيفاً وسبعين سنة وأنا أقول بإمامة هذا الذي علم ما في قلبي واستجاب الله دعاءه لي»[1].

وقال يحيى بن هرثمة:

«دعاني المتوكل وقال: اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة فخلفوا أثقالهم فيها واخرجوا عن طريق البادية إلى المدينة وأحضروا عليّ بن محمد بن الرضا إلى عندي مكرّماً معظماً مبجلاً، قال: ففعلت وخرجنا وكان في أصحابي قائد من الشراة وكان لي

(١) الخرائج والجرائح: ص ٢٠٩.

كاتب متشيّع وأنا على مذهب الحشوية وكان الشاري يناظر الكاتب وكنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطريق، فلما صرنا وسط الطريق قال الشاري للكاتب: أليس من قول صاحبكم علي بن أبي طالب: «ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر أو سيكون قبراً» فانظر إلى هذه البريّة العظيمة أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون؟ قال: فقلت للكاتب: أهذا من قولكم؟ قال: نعم، فقلت: أين من يموت في هذه البرّية حق تمتلىء قبوراً وتضاحكنا ساعة إذا انخذل الكاتب في أيدينا وسرنا حتى دخلنا المدينة فقصدت باب أبي الحسن عليه السلام فدخلت إليه وقرأ كتاب المتوكل فقال: انزلوا فليس من جهتي خلاف، فلما صرت إليه من الغد وكنّا في تموز أشدّ ما يكون من الحرّ فإذا بين يديه خياط وهو يقطع خفاتين (نوع من الثياب) من ثياب غلاظ له ولغلمانه وقال للخياط: إجمع عليها جماعة من الخياطين واعمل على الفراغ منها يومك هذا وبكّر بها إليّ في هذا الوقت. ونظر إليّ وقال: يا يحيى اقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم واعمل على الرحيل غداً في هذا الوقت. فخرجت من عنده وأنا أتعجب منه ومن الخفاتين، وأقول في نفسي: نحن في تموز وحرّ الحجاز وبيننا وبين العراق عشرة أيام فما يصنع بهذه الثياب، وقلت في نفسي: هذا رجل لم يسافر وهو يقدّر أن كل سفر يحتاج إلى هذه الثياب وأتعجب من الروافض حيث يقولون بإمامة هذا مع فهمه هذا، فعدت إليه في الغد

في ذلك الوقت فإذا الثياب قد أحضرت وقال لغلمانه: ارحلوا وخذوا لنا معكم لبابيد وبرانس، ثم قال: ارحل يا يحيى، فقلت في نفسي: وهذا أعجب من الأوّل أيخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى أخذ معه اللبابيد والبرانس[1]، وخرجت وأنا أستصغر فهمه، فسرنا حتى إذا وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور، ارتفعت سحابة واسودّت وأرعدت وأبرقت حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت على رؤوسنا برداً مثل الصخور وقد شدّ على نفسه وغلمانه الخفاتين ولبسوا اللبابيد والبرانس وقال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبّادة وإلى الكاتب برنساً ويجمعنا والبَرَد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانين رجلاً، وزالت وعاد الحرّ كما كان، فقال لي: يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك فادفن من مات منهم فهكذا يملأ الله البريّة قبوراً، قال: فرميت بنفسي عن دابتي وعدوت إليه فقبلت رجله وركابه وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله وأنكم خلفاء الله في أرضه فقد كنت كافراً وقد أسلمت الآن على يديك يا مولاي. قال يحيى: وتشيّعت وألزمت خدمته إلى أن مضى»[2].

وقال هبة الله بن أبي منصور الموصلي:

«كان بديار ربيعة نصراني يسمى يوسف بن يعقوب وكان

---

(١) اللبابيد: جمع اللبد وهو بساط من صوف. البرنس: ثوب غطاء الرأس جزءٌ منه متصل به.

(٢) كشف الغمة: ص ٢٩٧.

بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي: فيم قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت إلى حضرة المتوكل ولا أدري ما يراد مني إلا أني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار وقد حملتها لعلي بن محمد بن الرضاعليه السلام معي فقال له والدي: قد وفّقت في هذا، وخرج (النصراني) إلى حضرة المتوكل. وجاءنا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً فقال له والدي: حدثني حديثك. قال: صرت إلى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ فنزلت في دار وقلت؛ يجب أن أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرضا قبل مصيري إلى باب المتوكل وقبل أن يعرف أحدٌ قدومي، وعرفت أن المتوكل قد منعه (أي الإمامعليه السلام) من الركوب وأنه ملازم لداره. فقلت: كيف أصنع، رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا، لا آمن أن ينذر بي فيكون ذلك زيادة فيما أُحاذره وقال: تفكرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد فلا أمنعه حيث يذهب لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً، فجعلت الدنانير في كاغذ وجعلتها في كمي وركبت فكان الحمار ينحرف في الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سلْ لمن هذه الدار فسأل فقيل: دار ابن الرضا، فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة، قال: فإذا خادم أسود قد خرج وقال: أنت يوسف بن يعقوب قلت: نعم، قال: فانزل، فأقعدني في الدهليز ودخل، فقلت: هذه دلالة أخرى، من أين يعرف اسمي واسم

أبي وليس في البلد من يعرفني ولا دخلته قط؟! فخرج الخادم فقال: المائة دينار التي في كمك في الكاغذ هاتها. فناولته إياها وقلت: هذه الثالثة. وجاء فقال: ادخل فدخلت وهو وحده، فقال: يا يوسف ما بان لك، فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى. فقال: هيهات إنك لا تسلم ولكن سيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا، يا يوسف إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالك كذبوا، والله إنها لتنفع. امض فيما وافيت له فإنك سترى ما تحبّ. فمضيت إلى باب المتوكل ونلت كل ما أردت وانصرفت.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد هذا وهو مسلم حسن التشيّع، فأخبرني أن أباه مات على النصرانية وأنه أسلم بعد موت أبيه، وكان يقول: أنا مؤمن ببشارة مولاي عليه السلام»[1].

وروي أيضاً:

«إن المتوكل عرض عسكره وأمر أن كل فارس يملأ مخلاة فرسه طيناً ويطرحوه في موضع واحد، فصار كالجبل واسمه تلّ المخالي، وصعد هو وأبو الحسن عليه السلام وقال: إنما طلبتك لتشاهد خيولي، وكانوا ألبسوا التجافيف وحملوا السلاح وقد عرضوا بأحسن زينة وأتمّ عدّة وأعظم هيبة، وكان غرضه كسر قلب من يخرج عليه، وكان يخاف من أبي الحسن عليه السلام أن يأمر

(١) كشف الغمة: ص ٢٩٧.

أحداً من أهل بيته بالخروج عليه، فقال له أبو الحسنعليه السلام: فهل أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدجّجون فغُشي على الخليفة فلما أفاق قال له أبو الحسنعليه السلام: نحن لا ننافسكم في الدنيا فإنا مشغولون بالآخرة فلا عليك شيء مما تظن»[1].

روى أبو سعيد سهل بن زياد فقال:

«حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب ونحن في داره بسُرَّ من رأى فجرى ذكر أبي الحسنعليه السلام فقال: يا أبا سعيد أحدثك بشيء حدثني به أبي قال: كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل على سريره فسلّم المنتصر ووقف ووقفت خلفه، وكان إذا دخل رحّب به وأجلسه، فأطال القيام وجعل يرفع رِجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له في القعود ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقول للفتح بن خاقان: هذا الذي تقول فيه ما تقول وتردُّ عليّ القول والفتح يسكّنه ويقول: هو مكذوب عليه وهو يتلظّى ويستشيط ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق فهو الذي يدّعي الكذب ويطعن في دولتي، ثم طلب أربعة من الخزر أجلافاً ودفع إليهم أسيافاً وأمرهم أن يقتلوا أبا الحسنعليه السلام إذا دخل، وقال: والله لأحرّقنّه بعد قتله، وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر، فدخل أبو

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٩٨.

الحسن عليه السلام وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه وانكبّ عليه يقبّل بين عينيه ويديه واحتمل شقّه بيده وهو يقول: يا سيدي يابن رسول الله يا خير خلق الله يابن عمي يا مولاي يا أبا الحسن، وأبو الحسن عليه السلام يقول: أعيذك يا أمير المؤمنين من هذا، فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت؟ قال: جاءني رسولك، قال: كذب ابن الفاعلة ارجع يا سيدي، يا فتح يا عبيد الله يا منتصر شيّعوا سيدكم وسيدي، فلما بصر به الخزر خرّوا سجداً، فدعاهم المتوكل وقال: لم لم تفعلوا ما أمرتكم به قالوا: شدة هيبته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم وامتلأت قلوبنا من ذلك وقال: يا فتح هذا صاحبك وضحك في وجهه وقال: الحمد لله الذي بيّض وجهه وأنار حجته»[1].

عن أبو هاشم الجعفري قال:

«دخلت إلى أبي الحسن عليه السلام فكلمني بالهندية فلم أحسن أن أردّ عليه وكان بين يديه حصى فأخذ حصاة تركها في فمه ومصّها ثلاث مصات، فدفعها إليّ فوضعها في فمي، فوالله ما برحت من عنده حتى تكلمت بثلاثة وسبعين لساناً أوّلها الهندية»[2].

وعنه قال:

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق.

«خرجت معه عليه السلام إلى ظاهر سرّ من رأى نتلقّى بعض الطالبيين فأبطأ حرسه فطرحت له غاشية السرج، فجلس عليها، ونزلت فجلست بين يديه وهو يحدّثني فشكوت إليه قصور يدي (أي فقري)، فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه أكفّاً وقال: اتّسع بهذا أبا هاشم واكتم ما رأيت، فخبأته معي ورجعنا فأبصرته فإذا هو يتّقد كالنيران ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: إسبك هذا لي، فسبكه فقال: ما رأيت ذهباً أجود من هذا وهو كالرّمل، فمن أين لك هذا؟ فما رأيت أعجب منه، قلت: لنا من قديم مذخور»[1].

ومنه قال:

«أولم بعض أولاد الخلفاء وليمة فدعا أبا الحسن عليه السلام، ودعا الناس فلما رأوه أنصتوا إجلالاً له، وجعل شاب في المجلس لا يوقّره ويتحدث ويضحك، فأقبل عليه فقال: يا هذا تضحك ملء فيك وتذهل عن ذكر الله وأنت بعد ثلاثة أيام من أهل القبور. قال: فقلنا: هذا دليل ننظر ما يكون، فأمسك الفتى وكفّ، فطعمنا وخرجنا، فلما كان بعد يوم اعتلّ الفتى ومات في اليوم الثالث ودفن فيه»[2].

---

(١) كشف الغمة: ص ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق.

أخلاق الإمام العسكري عليه السلام

هو الإمام أبو محمد ابن علي عليه السلام. ولقبه العسكري وله ألقاب أخرى، الهادي والسراج.

أما المنقبة العليا والمزيّة الكبرى التي خصّه الله تعالى بها وجعلها صفة دائمة لا يبلى الدّهر جديدها ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها هي أن المهديّ نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه وبضعته المنفصلة عنه.

عن أبي بكر الفهفكي قال:

«كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: أبو محمد ابني، أصحّ آل محمد غريزة وأوثقهم حجّة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامنا، فما كنت تسألني عنه فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه»[1].

وعن محمد بن يحيى قال:

«كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم، فجرى يوماً في مجلسه ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، فقال: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في

(١) الإرشاد: ص ٣١٧.

هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذي السنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامة الناس، فأذكر أني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجّابه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكنُّوا رجلاً بحضرة أبي ولم يكن يكنّى عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنّى عنده، فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيّد البدن حديث السنّ له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خُطًى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجّب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال: الموفّق قد جاء، وكان الموفّق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه وخاصّة قوّاده فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدّثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذٍ له إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا، يعني الموفّق، فقام وقام أبي وعانقه ومضى، فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل، قالوا: هذا علويّ يقال له: الحسن بن عليّ، يعرف بابن

الرضا، فازددت تعجّباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيته منه حتى كان الليل، وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلّى وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال: يا أحمد لك حاجة؟ قلت: نعم يا أبه فإن أذنت لي سألتك عنها، قال: قد أذنت، قلت: يا أبه من الرّجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ قال: يا بني ذلك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا، ثم سكت ساعة وأنا ساكت ثم قال: يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره، لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً، فازددت قلقاً وغيظاً وتفكراً على أبي وما سمعته منه فيه ورأيته من فعله به، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحلّ الرفيع، والقول الجميل، وتقدّمه على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلا وهو محسن القول فيه والثناء عليه»[1].

---

(١) الإرشاد: ص ٣١٨.

كرامات الإمام العسكري عليه السلام

روى المفيد في الإرشاد أنه:

«كتب أبو محمد عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري قبل موت المعتز بنحو عشرين يوماً: إلزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قتل بُريحة؛ كتب إليه قد حدث الحادث فما تأمرني؟ فكتب إليه: ليس هذا الحادث، الحادث الآخر. فكان من المعتزّ ما كان»[1].

قال محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى بن جعفر:

«ضاق بنا الأمر فقال أبي: امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد عليه السلام فإنه قد وصف عنه سماحة. فقلت: تعرفه؟ قال: ما أعرفه ولا رأيته قط. قال: فقصدناه فقال أبي وهو في الطريق: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم، مائتي درهم للكسوة، ومائتي درهم للدقيق، ومائة درهم للنفقة. وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم مائة

---

(١) الإرشاد: ص ٣٢٠.

أشتري بها حماراً، ومائة نفقة، ومائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل. قال: فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل عليُّ بن إبراهيم ومحمد ابنه، فلما دخلنا عليه وسلّمنا قال لأبي: يا عليّ ما خلّفك عنا إلى هذا الوقت؟ قال: يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذا الحال. فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرّة فيها دراهم وقال: هذه خمسمائة درهم، مائتان للكسوة ومائتان للدقيق ومائة للنفقة، وأعطاني صرّة وقال: هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة في ثمن حمار ومائة للكسوة ومائة للنفقة ولا تخرج إلى الجبل وسرّ إلى سوراء. قال: فصار إلى سوراء وتزوج امرأة منها فدخله ألف دينار ومع هذا يقول بالوقف. قال محمد بن إبراهيم الكردي: فقلت له: ويحك أتريد أمراً أبين من هذا؟ فقال: صدقت ولكنّا على أمرٍ قد جرينا عليه»[1].

وعن أبي هاشم الجعفري قال:

«شكوت إلى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس وكلب القيد، فكتب إليّ أنت مصل اليوم الظهر في منزلك، فأخرجت وقت الظهر فصليت في منزلي كما قال. وكنت مضيّقاً فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي كتبت إليه فاستحييت، فلما صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمائة دينار وكتب إليّ: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم واطلبها تأتك على ما تحب إن

(١) الإرشاد: ص ٣٢١.

شاء الله»[1].

وعن أبي حمزة نصير الخادم قال:

«سمعت أبا محمدعليه السلام غير مرّة يكلم غلمانه بلغاتهم وفيهم ترك وروم وصقلابة فتعجبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسنعليه السلام ولا رآه أحد، فكيف هذا؟ وكنت أحدث نفسي بذلك حين أقبل عليّ وقالعليه السلام: إن الله جلّ اسمه أبان حجته من سائر خلقه، وأعطاه معرفة كل شيء وهو يعرف اللغات والأسباب والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق»[2].

وعن علي بن زيد بن علي بن الحسين قال:

«كان لي فرس وكنت به معجباً، أكثر ذكره في المجالس. ودخلت على أبي محمدعليه السلام يوماً فقال: ما فعل فرسك؟ فقلت: ها هو على بابك الآن نزلت عنه، فقال لي: استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشتري لا تؤخّر ذلك، ودخل علينا داخل فانقطع الكلام. فقمت مفكراً ومضيت إلى منزلي فأخبرت أخي فقال لي: ما أدري ما أقول في هذا. وشححت به ونفّست على الناس ببيعه وأمسينا، فلما صلينا العتمة جاءني السائس وقال: قد نفق فرسك الساعة. فاغتممت وعلمت أنه عنى هذا بذلك القول، ثم دخلت على أبي محمدعليه السلام بعد أيام وأنا أقول في

---

(١) الإرشاد: ص ٣٢٢.

(٢) المصدر السابق.

نفسي: ليته أخلف عليّ دابّة، فلما جلست قال عليه السلام قبل أن أحدّث بشيء: نعم نخلف عليك، يا غلام أعطه برذوني الكميت، ثم قال: هذا خيرٌ من فرسك وأوطأ وأطول عمراً»[1].

وعن أحمد بن محمد قال:

«كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنك، فقد بلغني أنه يهددك ويقول: والله لأُجلينّهم عن جديد الأرض، فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه: ذاك أقصر لعمره، وعدّ من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف بموته، وكان كما قال»[2].

وروي أنه:

«دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمد عليه السلام فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسع. فقال لهم صالح: ما أصنع به فلقد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فصارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه لا يتكلم، ولا يتشاغل بغير العبادة؟ فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمع

(١) كشف الغمة: ص ٣٠٥.
(٢) كشف الغمة: ص ٣٠٦.

العباسيون ذلك انصرفوا خائبين»[1].

وعن علي بن محمد قال:

«سلّم أبو محمدعليه السلام إلى نحرير وكان يضيّق عليه ويؤذيه فقالت له امرأته: اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك؟! وذكرت له صلاحه وعبادته وقالت له: إني أخاف عليك منه، فقال: والله لأرمينّه بين السباع ثم استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها ولم يشكّوا في أكلها له فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوهعليه السلام قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره»[2].

وعن أبي هاشم الجعفري قال:

«كنت عند أبي محمدعليه السلام إذ دخل عليه شاب حسن الوجه، فقلت في نفسي: من هذا؟ فقال أبو محمد: هذا ابن أمّ غانم صاحبة الحصاة التي طبع فيها آبائي، وقد جاءني أطبع فيها، هات حصاتك فأخرج حصاة فيها موضع أملس وطبع فيها بخاتم معه فانطبع»[3].

وعن عمر بن أبي مسلم قال:

«كان سميع المسمعيّ يؤذيني كثيراً، ويبلغني عنه ما أكره، وكان ملاصقاً لداري، فكتبت إلى أبي محمدعليه السلام أسأله الدعاء بالفرج منه، فرجع الجواب:

---

(١) كشف الغمة: ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أبشر بالفرج منه سريعاً، وأنت مالك داره، فمات بعد شهر واشتريت داره فوصلتها بداري ببركته»[1].

وعن جعفر بن الشريف الجرجاني قال:

«حججت سنة فدخلت على أبي محمد عليه السلام بسرّ من رأى وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه، فقال قبل أن قلت ذلك: ادفع ما معك إلى مبارك خادمي، ففعلت وقلت: شيعتك بجرجان يقرأون عليك السلام، قال: أولست منصرفاً بعد فراغك من الحجّ؟ قلت: بلى، قال: فإنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مائة وتسعين يوماً وتدخلها يوم الجمعة لثلاث ليال مضيْن من ربيع الآخر في أوّل النهار، فأعلمهم أني أوافيهم في ذلك اليوم آخر النهار، فامض راشداً فإن الله سيسلمك ويسلم ما معك، فتقدم على أهلك وولدك ويولد لولدك الشريف ابن فسمّه الصّلت وسيبلغ ويكون من أوليائنا، فقلت: يابن رسول الله إنّ إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني وهو من شيعتك كثير المعروف إلى أوليائك يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مائة ألف درهم وهو أحد المتقلّبين في نعم الله عز وجل، فقال عليه السلام: شكر الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا وغفر له ذنوبه ورزقه ذكراً سوياً قائلاً بالحق فقل له: يقول لك الحسن بن علي: سم ابنك أحمد.

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٧.

فانصرفت من عنده وحججت وسلّمني الله حتى وافيت جرحان في يوم الجمعة أوّل النهار من شهر ربيع الآخر على ما ذكرهعليه السلام، وجاءني أصحابنا يهنئوني فأعلمتهم أن الإمام وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم فتأهبوا لما تحتاجون إليه وأعدوا مسائلكم وحوائجكم كلها، فلما صلوا الظهر والعصر اجتمعوا كلهم في داري فوالله ما شعرنا إلا وقد وافى أبو محمدعليه السلام فدخل ونحن مجتمعون فسلم هو أولاً علينا فاستقبلناه وقبّلنا يده ثم قال: إني كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم آخر هذا اليوم فصليت الظهر والعصر بسرّ من رأى وصرت إليكم لأُجدّد بكم عهداً وها أنا قد جئتكم الآن، فأجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلها، فأوّل من انتدب المسألة النضر بن جابر فقال: يابن رسول الله إن ابني جابراً أصيب ببصره فادع الله أن يردّ عينه، قالعليه السلام: فهاته، فجاء به فمسح على عينه فعاد بصره ثم تقدم رجل فرجل يسألونه حوائجهم فأجابهم إلى كل ما سألوه حتى قضى حوائج الجميع ودعا لهم بخير وانصرف من يومه ذلك»[1].

وعن علي بن زيد بن الحسين بن زيد بن علي قال:

«صحبت أبا محمدعليه السلام من دار العامّة إلى منزله فلما صار إلى داره وأردت الانصراف قال: أمهل، ودخل وأذن فدخلت فأعطاني مائة دينار وقال: اصرفها في ثمن جارية فإن جاريتك فلانة ماتت. وكنت خرجت

(١) كشف الغمة: ص ٣٠٨.

من المنزل وعهدي بها أنشط ما كانت فمضيت، فقال الغلام: ماتت جاريتك فلانة الساعة، قلت: ما حالها؟ قال: شربت ماء فشرقت فماتت»[1].

وعن أبي الفرات قال:

«كان لي على ابن عم لي عشرة آلاف درهم فكتبت إلى أبي محمدعليه السلام أسأله الدعاء، فكتب إليّ أنه رادّ عليك مالك وهو ميّت بعد جمعة، قال: فردّ عليّ ابن عمي مالي فقلت له: ما بدا لك في ردّه وقد منعتنيه؟ قال: رأيت أبا محمدعليه السلام في المنام فقال: إن أجلك قد دنا فردّ على ابن عمك ماله»[2].

وعن علي بن الحسن بن سابور قال:

«قحط الناس بسرّ من رأى في زمن أبي الحسن الأخير، فأمر المتوكل بالخروج إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب، فلما مدّ يده هطلت السماء بالمطر وخرجوا اليوم الثاني فهطلت السماء، فشك أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية، فأنفذ المتوكل إلى الحسنعليه السلام وكان محبوساً فأخرجه من حبسه وقال: إلْحق أمّة جدّك فقد هلكت، فقال: إنني خارج من الغد ومزيل للشك إن شاء الله، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث ومعه الرهبان وخرج

---

(١) كشف الغمة: ص ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٩.

الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر الراهب وقد مدّ يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه ففعل وأخذ منه عظماً أسود فأخذه الحسن عليه السلام بيده وقال: استسق الآن فاستسقى وكانت السماء مغيّمة فنشفت وطلعت الشمس بيضاء، فقال المتوكل: ما هذا العظم يا أبا محمد؟ فقال عليه السلام: هذا الرجل عبر بقبر نبي من أنبياء الله فوقع في يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر»[1].

وقال أبو هاشم داود بن القاسم:

«كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوسق الأحمر أنا والحسين بن محمد العقيقي ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان وفلان إذ دخل علينا أبو محمد الحسن عليه السلام وأخوه جعفر، فحففنا به وكان المتولّي لحبسه صالح بن وصيف. وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول: إنه علوي. قال: فالتفت أبو محمد عليه السلام فقال: لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم وأومأ إلى الجمحي أن يخرج فخرج، فقال أبو محمد: هذا رجل ليس منكم فاحذروه فإن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه، فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة. وكان الحسن عليه السلام يصوم فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله غلامه إليه في جونة مختومة،

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٨.

وكنت أصوم معه. فلما كان ذات يوم ضعفت فأفطرت في بيت آخر على كعكة وما شعر بي والله أحد، ثم جئت فجلست معه فقال لغلامه: اطعم أبا هاشم شيئاً فإنه مفطر، فتبسمت فقال: ما يضحكك يا أبا هاشم إذا أردت القوّة فكل اللحم فإن الكعك لا قوّة فيه. فقلت: صدق الله ورسوله وأنتم. فقال لي: أفطر ثلاثاً فإن المنّة (القوة) لا ترجع إذا نهكها الصوم في أقل من ثلاث. فلما كان في اليوم الذي أراد الله أن يفرِّج عنه جاءه الغلام فقال: يا سيدي أحمل فطورك فقال: احمل وما أحسبنا نأكل منه فحمل الغلام الطعام الظهر وأطلق عنه عند العصر وهو صائم، فقال: كلوا هنأكم الله»[1].

(١) كشف الغمة: ص ٣١٠.

الإمام المهدي غيبته وظهوره

هو الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي عليه السلام. ويلقب بالحجّة والقائم والخلف الصالح وصاحب الزمان والصاحب، وكانت الشيعة في غيبته الأولى تعبّر عنه وعن غيبته بالناحية المقدسة، وكان ذلك رمزاً بين الشيعة يعرفونه به. قال الشيخ المفيد (ره):

كان سنه عند وفاة أبيه عليه السلام خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، وآتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبياً، وجعله إماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى ابن مريم في المهد نبياً. وقد سبق النصُّ عليه في ملّة الإسلام من نبي الهدى محمد صلى الله عليه وآله، ثم من أمير المؤمنين علي عليه السلام، ونص عليه الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن. ونص أبوه عليه عند ثقاته وخاصته وشيعته وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وإحداهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار.

فأما القصريّ منها فمنذ وقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة. وأما الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم عليه السلام بالسيف، قال الله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

وقال جل اسمه:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

وقال رسول الله ﷺ:

«لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، ويملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام:

«إذا أذن الله جلّ اسمه للقائم في الخروج، صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه وناشدهم الله ودعاهم إلى حقّه، وأن يسير فيهم بسنّة رسول الله ﷺ ويعمل فيهم بعمله، فيبعث الله تعالى جبرئيل حتى يأتيه فينزل على الحطيم[1] يقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل عليه السلام: أنا أول من يبايعك إبسط يدك فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه ويقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف ثم يسير منها إلى المدينة»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا قام القائم دعا الناس إلى إسلام جديد، وهداهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور. فإنما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه وسمي القائم

---

(١) الحطيم: جدار الكعبة، وقيل: ما بين الزمزم والركن والمقام.

(٢) الإرشاد: ص ٣٤٣.

لقيامه بالحق»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الإسلام إلى أمر جديد»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنوره، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمّر الرجل في ملكه، تظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل ذلك منه، يستغني الناس بما رزقهم الله من فضله»[3].

وعن عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«كم يملك القائم عليه السلام، قال: سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فيكون سنو ملكه كسبعين سنة من سنيكم هذه. وإذا آن قيامه مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب»[4].

---

(١) الإرشاد: ص ٣٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٤٣..

(٣) المصدر السابق: ص ٣٤٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٤٢.

قال رسول الله ﷺ:

«المهدي من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خُلقاً وخَلقاً، يكون له غيبة وحيدة تضلّ فيها الأمم، ثم يقبل مثل الشهاب، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].

وقال ﷺ:

«إن علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر ابن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: أي وربي، وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إن هذا أمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله علّته مطوية عند عباد الله، فإياك والشك فإن الشك في أمر الله كفر»[2].

عن علي عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام:

«التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين، والباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام: وإن ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: والذي بعث محمداً بالنبوة واصطفاه على جميع البريّة، ولكن بعد غيبة وحيدة لا يثبت فيها

---

(١) أعلام الورى: ص ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق.

على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه»[1].

ومما جاء عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أنه لما صالح معاوية دخل الناس عليه فلامه بعض الشيعة على بيعته فقال عليه السلام:

«ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت. أما تعلمون أني إمامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيديّ شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار وكان ذلك سخطاً لموسى عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان عند الله حكمة وصواباً. أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى ابن مريم خلفه فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال الإمام الحسين عليه السلام:

«في التاسع من ولدي سنّة من يوسف، وسنّة من

---

(١) أعلام الورى: ص ٤٠٠.

(٢) أعلام الورى: ص ٤٠١.

موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله أمره في ليلة واحدة»[1].

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام قال:

«في القائم منا سنن من ستة من الأنبياء؛ سنّة من نوح وسنّة من إبراهيم، وسنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من أيوب، وسنّة من محمد صلوات الله عليهم، فأمّا من نوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة، واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد صلى الله عليه وآله، فالخروج بالسيف»[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال أيضاً:

«القائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج، وليس لأحد في عنقه بيعة»[3].

عن سعد بن إسحاق بن سعد قال:

«دخلت على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة

---

(١) أعلام الورى: ص ٣٩٩.
(٢) أعلام الورى: ص ٤٠٢.
(٣) المصدر السابق.

لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض، قال: فقلت: يابن رسول الله فمن الخليفة والإمام بعدك؟ فنهضعليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، وقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا إنه سمي رسول اللهصلى الله عليه وآله وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضرعليه السلام ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبّته الله تعالى على القول بإمامته ووفّقه للدعاء بتعجيل فرجه، قال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق، قال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً فلما كان الغد عدت إليه فقلت له: يابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة يا أحمد بن إسحاق، فقلت له: يابن رسول الله إنّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلا من أخذ الله عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه، يا أحمد بن إسحاق هذا أمرٌ من الله وسرٌّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من

الشاكرين تكن معنا غداً في عليين»[1].

قال الرسولﷺ:

«يخرج رجل من أهل بيتي ويعمل بسنتي وينزّل الله له البركة من السماء وتخرج له الأرض بركتها، وتملأ به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويعمل على هذه الأمّة سبع سنين وينزل بيت المقدس»[2].

وعن النبيﷺ أيضاً قال:

«تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قطّ، يرسل الله السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته»[3].

---

(١) أعلام الورى: ص ٤١٢.
(٢) كشف الغمة: ص ٣٢٢.
(٣) المصدر السابق.

علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام

ذكر الشيخ المفيد[1] ورحمه الله، أن من علامات قيام الإمام المهدي عليه السلام: خروج السفياني وقتل الحسني، واختلاف بني العباس في الملك، وكسوف الشمس في النصف من شعبان، وخسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات، وخسف بالبيداء[2]، وخسف بالمغرب وخسف بالمشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفس زكيّة بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، وطلوع نجم بالمشرق ويضيء كما يضيء القمر، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه، وحمرة تظهر في السماء وتلتبس في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طولاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام، وخلع العرب أعنّتها، وتملكها البلاد، وخروجها عن سلطان العجم وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاث رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلى أهل مصر ورايات كندة إلى خراسان وورود خيل من المغرب حتى يربط بفناء الحيرة، وإقبال رايات سود من قبل

---

(١) الإرشاد: ص ٣٣٦.

(٢) البيداء: أرض ملساء بين مكة والمدينة.

المشرق نحوها، وينبثق الفرات حتى يدخل الماء أزقّة الكوفة، وخروج ستين كذاباً كلهم يدّعي النبوّة، وخروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد، وارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار وزلزلة حتى ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق وموت ذريع فيه ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلاّت، وقلّة ريع ما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم، وقتلهم مواليهم، ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم أهل كل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتراوحون ثم يختم ذلك بأربعة وعشرين مطرة تتصل فتحيى بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة فيتوجهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار. وجملة من هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة والله أعلم بما يكون.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر به الله دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلا عمّر، وينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلي خلفه. قال الراوي: فقلت: يابن رسول الله ومتى يظهر

قائمكم؟ قال: إذا تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور، وردّت شهادات العدل، واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنى وأكل الربا، واتقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفياني من الشام واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق معه ومع شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ثم يقول: أنا بقية الله في الأرض، فإذا اجتمع له العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود دون الله من صنم ولا وثن إلا وقعت فيه نار فاحترق وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لا يخرج القائم عليه السلام إلا في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع»[(٢)].

وعنه عليه السلام قال:

«ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين ويقوم

---

(١) أعلام الورى: ص ٤٣٣.

(٢) الإرشاد: ص ٣٤١.

في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.
لكأني به في يوم السبت العاشر من المحرّم قائماً بين الركن والمقام جبرئيل عن يمينه ينادي البيعة لله، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة قد سار إليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد»[2].

---

(١) الإرشاد: ص ٣٤١.

(٢) المصدر السابق.

كرامات الإمام المهدي عليه السلام

عن حكيمة قالت:

«دخلت يوماً على أبي محمد عليه السلام فقال: بيتي عندنا الليلة فإنه سيظهر الخلف فيها. فقلت: وممن، فلست أرى بنرجس حملاً؟ قال: يا عمّة إن مثلها كمثل أمّ موسى لم يظهر حملها به إلا وقت ولادتها. فبتّ أنا وهي، فلما انتهى الليل صليت أنا وهي صلاة الليل فقلت في نفسي: قد قرب الفجر ولم يظهر ما قال أبو محمد، فناداني أبو محمد عليه السلام: لا تعجلي فرجعت إلى البيت خجلة، فاستقبلتني نرجس ترتعد فضممتها إلى صدري وقرأت عليها قل هو الله أحد، وإنا أنزلناه، وآية الكرسي، فأجابني الخلف من بطنها يقرأ كقراءتي، قالت: وأشرق نور في البيت فنظرت فإذا الخلف تحتها ساجد إلى القبلة فأخذته، فناداني أبو محمد عليه السلام من الحجرة: هلمي بابني إليّ يا عمّة، قال: فأتيته به فوضع لسانه في فمه وأجلسه على فخذه فقال: أنطق يا بني بإذن الله تعالى، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ وصلى الله على محمد المصطفى وعلى عليّ المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن عليّ وعليّ بن محمد والحسن بن عليّ أبي، قالت: وغمرتنا طيور خضر فنظر أبو محمد عليه السلام إلى طائر منها فدعاه فقال: خذه فاحفظه حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره. قالت حكيمة: فقلت لأبي محمد عليه السلام: ما هذا الطائر وما هذه الطيور؟ قال عليه السلام: هذا جبرئيل وهذه ملائكة الرحمة، ثم قال: يا عمّة ردّيه إلى أمّه كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون، فرددته إلى أمّه، ولما ولد كان نظيفاً مفروغاً منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾»[1].

وعن السياري قال: حدثني نسيم ومارية فقالتا:

«لما خرج صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمّه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابتيه نحو السماء ثم عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله عبداً داخراً غير مستنكف ولا مستكبر، ثم قال: زعمت الظلمة أن حجّة الله داحضة ولو أذن الله لنا في الكلام لزال الشك»[2].

(١) الخرائج: ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق.

وروي عن ظريف أبي نصر الخادم:

«دخلت على صاحب الزمان عليه السلام وهو في المهد فقال لي: عليّ بالصندل الأحمر، فأتيته به فقال: أتعرفني؟ قل: نعم أنت سيدي وابن سيدي، فقال: لست عن هذا سألتك، فقلت: فسّر لي، فقال: أنا خاتم الأوصياء وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي»[1].

وعن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال:

«وجّه قوم من المفوضة كامل بن إبراهيم إلى أبي محمد عليه السلام، قال: فقلت في نفسي لما دخلت عليه: أسأله عن الحديث المروي عنه عليه السلام: «لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي» وكنت جلست إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه، وإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي، قال: جئت إلى وليّ الله تسأله: «لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟» قلت: إي والله. قال: إذن والله يقلّ داخلها، والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيّة، قلت: ومن هم؟ قال: قوم من حبّهم لعليّ يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله، أي قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلاً عن معرفة الله ورسوله والأئمة ونحوها، ثم قال: وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء الله شئنا والله يقول:

---

(١) الخرائج: ص ٢١٦.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فقال أبو محمدعليه السلام: ما جلوسك وقد أنبأتك بحاجتك»[1].

وعن رشيق حاجب المادراني قال:

«بعث إلينا المعتضد وأمرنا أن نركب ونحن ثلاثة نفر ونخرج مخفين على السروج ونجنب آخر وقال: الحقوا بسامرّاء واكبسوا دار الحسن بن عليّ فإنه توفّي ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدناها داراً سريّة كأن الأيدي رفعت عنها في ذلك الوقت، فرفعنا الستر فإذا سرادب في الدار الأخرى فدخلناها فكان بحراً وفي أقصاه حصير، وقد علمنا أنه على الماء وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي، فلم يلتفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطّى فغرق في الماء وما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلّصته وأخرجته فغشي عليه وبقي ساعة وعاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلك فناله مثل ذلك فبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت: المعذرة إلى الله وإليك فوالله ما علمت كيف الخبر وإلى من نجيء وأنا تائب إلى الله، فما التفت إليّ بشيء مما قلت، فانصرفنا إلى المعتضد. فقال: اكتموه وإلا ضربت رقابكم»[2].

وعن حكيمة أنها قالت:

«دخلت على أبي محمدعليه السلام بعد أربعين يوماً من ولادة

---

(١) الخرائج: ص ٢١٦.
(٢) المصدر السابق.

نرجس فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار، فلم أر لغة أفصح من لغته، فتبسّم أبو محمدعليه السلام وقال: إنا معاشر الأئمة ننشأ في كل يوم كما ينشأ غيرنا في الشهر، وننشأ في الشهر كما ينشأ غيرنا في السنة. قالت: ثم كنت بعد ذلك أسأل أبا محمدعليه السلام عنه فيقول: استودعناه الذي استودعت أم موسى ولدها»[1].

وعن أبي الحسن المسترقّ الضرير قال:

«كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة، فتذاكرنا أمر الناحية قال: وكنت أزري عليها (يعني على الإمام المهديعليه السلام) إلى أن حضرت مجلس عمي الحسين يوماً فأخذت أتكلم في ذلك فقال: يا بني قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن ندبت إلى ولاية «قم» حين استصعبت على السلطان، وكان كل من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها، فسلّم إليّ جيش وخرجت نحوها فلما خرجت إلى ناحية الطريق وخرجت إلى الصيد ففاتتني طريدة فاتبعتها وأوغلت في أثرها حتى بلغت إلى نهر فسرت فيه وكلما سرت يتّسع النهر فبينا أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته فرس شهباء وهو متعمّم بعمامة خزّ خضراء، لا أرى منه سوى عينيه وفي رجليه خفّان أحمران. فقال لي: يا حسين ولا أمّرني ولا كنّاني، فقلت: ماذا تريد؟ فقال: لم تزري على الناحية؟ ولم

(١) الخرائج: ص ٢١٨.

تمنع أصحابي خمس مالك؟ وكنت رجلاً وقوراً لا أخاف شيئاً فأرعدت وتهيّبته وقلت له: افعل يا سيدي ما تأمر به، فقال: إذا مضيت إلى الموضع الذي أنت متوجّه إليه فدخلته وكسبت ما كسبت فيه تحمل خمسه إلى مستحقة، فقلت: السمع والطاعة، فقال: امض راشداً ولوَّى عنان فرسه، وانصرفت فلم أدرِ أيّ طريق سلك، فطلبته يميناً وشمالاً فخفي عليّ أمره فازددت رعباً فانكفأت راجعاً إلى عسكري وتناسيت الحديث، فلمّا بلغت «قم» وعندي أنني أريد محاربة القوم خرج إليّ أهلها وقالوا: كنا نحارب من يجيئنا لخلافهم لنا وأمّا إذا وافيت أنت فلا خلاف بيننا وبينك، ادخل البلدة فدبّرها كما ترى. فأتمت فيها زماناً وكسبت أموالاً زائدة على ما كنت أقدر، ثم وشى القوّاد بي إلى السلطان، وحسدت على طول مقامي وكثرة ما اكتسبت، فعزلت ورجعت إلى بغداد فابتدأت بدار السلطان وسلّمت وأقبلت منزلي، وجاءني فيمن جاءني محمد بن عثمان العمريّ فتخطّى الناس حتى اتّكأ على تكأتي فاغتظت من ذلك ولم يزل قاعداً لا يبرح والناس يدخلون ويخرجون وأنا أزداد غيظاً فلما تصرّم المجلس دنا إليّ وقال: بيني وبينك سرّ فأسمّه، فقلت: قل. فقال: صاحب الشهباء والنهر يقول: قد وفينا بما وعدنا فذكرت الحديث وارتعدت من ذلك وقلت: السمع والطاعة، فقمت وأخذت بيده وفتحت الخزائن فلم يزل يخمّسها إلى أن خمّس شيئاً كنت قد أنسيته مما كنت قد جمعته وانصرف ولم أشك بعد

ذلك وتحقّقت الأمر، وأنا منذ سمعت هذا من عمّي أبي عبد الله زال عني ما كان اعترضني من الشك»[1].

وعن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال:

«لما وصلت بغداد في سنة سبع وثلاثين للحج وهي السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكثر همي من ينصب الحجر لأنه مضى في الكتب قصة أخذه وأنه ينصبه في مكانه الحجّة في الزمان. كما في زمن الحجّاج حين وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقرّ، فاعتللت علّة صعبة خفة منها على نفسي ولم يتهيأ لي ما قصدت له، فاستنبت المعروف بابن هشام وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري وهل تكون المنيّة في هذه العلّة أم لا؟ وقلت له: همي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه وأخذ جوابه وإنما انتدبك لهذا.

قال: فقال المعروف بابن هشام: لما حصلت بمكّة وعُزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة (الخدم) البيت جملة، تمكنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه، وأقمت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس، فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللوّن حسن الوجه فتناوله ووضعه في مكانه، فاستقام كأنه لم يزل عنه. وعلت لذلك الأصوات وانصرف خارجاً من الباب فنهضت

---

(١) الخرائج: ص ٢١٨.

من مكاني أتبعه وأدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتى ظن بي الاختلاط في العقل والناس يفرجون وعيني لا تفارقه حتى انقطع عني الناس وكنت أسرع الشدّة خلفه وهو يمشي على تؤدة ولا أدركه فلما حصل بحيث لا يراه أحدٌ غيري وقف والتفت إليّ وقال: هات ما معك فناولته الرّقعة فقال من غير أن ينظر فيها: قل له لا خوف عليك في هذه العلّة ويكون لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة، قال: فوقع على الزَّمع[1] حتى لم أطق حراكاً وتركني وانصرف. قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة، فلما كانت سنة سبع وستين اعتلّ أبو القاسم فقيل له: ما هذا الخوف ونرجو بتفضّل الله بالسلامة فما عليك مخوفة، فقال: هذه السنة التي وعدت، وخوّفت فيها، فمات في علّته»[2].

وعن محمد بن إبراهيم بن مهران قال:

«شككت عند مضيّ أبي محمد الحسن بن عليّ عليه السلام، واجتمع عند أبي مال فحمله وركبت معه السفينة مشيعاً له فوعك وعكاً شديداً فقال: يا بني ردّني فهو الموت، وقال لي: اتقّ الله في هذا المال وأوصى إليّ ومات بعد ثلاثة أيام. فقلت في نفسي: لم يكن أبي يوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشطّ ولا أخبر أحداً بشيء فإن وضح لي كوضوحه في أيام أبي محمد أنفذته وإلا

---

(١) الزمع: رعدة تعتري الإنسان.

(٢) كشف الغمة: ص ٣٣٣.

أنفقته في ملاذي وشهواتي. فقدمت العراق واكتريت داراً على الشطّ وبقيت أياماً، فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: يا محمد معك كذا وكذا حتى قصّ عليّ جميع ما معي وذكر في جملته شيئاً لم أُحط به علماً، فسلّمته إلى الرسول، وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس، فاغتممت فخرج إليّ: قد أقمناك مكان أبيك فاحمد الله»[1].

وعن علي بن الحسين اليماني قال:

«كنت ببغداد فتهيأت قافلة لليمانيين فأردت الخروج معهم فكتبت ألتمس الإذن في ذلك، فخرج: لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة وأقم بالكوفة. فأقمت وخرجت القافلة فخرج عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم. وقال: وكتبت أستأذن في ركوب الماء، فلم يؤذن لي، فسألت عن المراكب التي خرجت تلك السنة في البحر، فعرفت أنه لم يسلم منها مركب، خرج عليها قوم يقال لهم البوارح فقطعوا عليهم»[2].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة موجودة في الكتب المصنّفة فيها أخبار القائم (عج).

---

(١) الإرشاد: ص ٣٣١.

(٢) الإرشاد: ص ٣٣٢.

أخلاق الشيعة

معنى التشيّع

إن من اصطفاه الله تعالى من عباده واختصّه من بينهم لنفسه، وأدّبه فأحسن تأديبه وأكمل قوّته النظرية والعملية إلى أقصى كمالها الممكن، ثم علّمه من لدنه علماً وأطلعه على أسراره وأحكامه وشرائعه، ثم وهب له مع كماله الذي أعطاه قدرة على تكميل غيره من بني نوعه، بحيث يكون آخذاً من الله سبحانه معطياً إلى خلقه، ويأتي كلاً من الناس بما يصلح لعقله من غير أن تشغله الجنبة العالية عن الجهة السافلة ولا العكس، فهو أمام الناس وخليفة الله في أرضه على خلقه وحجّته على عباده، والعالم الرباني والسابق المقرّب، نبياً كان أو غير نبي إذ ربّ نبي ليس بإمام وربّ إمام ليس بنبي. والإمامة فوق النبوة وقد يجمعهما الله لواحد كما جمعها الله تعالى لنبينا ﷺ ولإبراهيم صلوات الله عليه حيث قال:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبي منبّأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى

طائفة قلّوا أو كثروا كيونس، قال الله ليونس: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: يزيدون ثلاثين ألفاً و(هو) عليه إمام، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم. وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ (الله) لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً»[1].

وعن زرارة قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال عليه السلام: النبي الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ (ولا محدّث)﴾»[2].

ومن وفّقه الله لمحبة صاحب هذا المقام وموالاته والاقتداء به والاهتداء بهداه والاقتفاء لأثره والتشيع على طريقته ومنهاجه في حركاته وسكناته وأفعاله وأحواله والوقوف على أسراره وعلومه بقدر طاقته وعلى حسب وسعه، بحيث إنه إذا أخطأ أناب فأصاب، وإذا أذنب ذنباً رجع وتاب، وإذا زلّت قدمه استقام، وتبرّأ من الطرق الباطلة والأهواء الزائفة وأهلها، وزهد في فضول الدنيا وامتاز من بينها فهو الشّيعي والخاصّي

---

(١) الكافي: ج ١ ص ١٧٤.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٧٦، وقوله (ولا محدَّث) إنما هو في قراءة أهل البيت عليهم السلام.

والسعيد والناجي والمتعلّم على سبيل النجاة والمؤمن الممتحن والمتقي والمقتصد، وصاحب الميمنة، وأهل اليمين. ومن هو في مقابل هذا الشخص بحيث كان عدواً للإمام غير مقتدٍ به ولا مهتدٍ بهداه ولا مقتفٍ أثره ولا واقف على أسراره بل مخالف على طريقته جاحد أمره، ومتبّع هواه مقبل على دنياه؛ فهو المخالف والعاميّ والشقي والهالك والمشرك والضّال والظالم وصاحب المشأمة وأهل الشمال.

فهذه الثلاث حقائق من أفراد بني آدم متميّز بعضها على بعض وهي بمنزلة الأصول لأصناف الناس.

ثم إن الإمامة هي الأصل بالإضافة إلى الأخيرتين، إذ بها تنشآن وتتميزان كما قال الله تعالى:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1].

وأكثر آيات القرآن بل جميعها إنما وردت في هذه الفرق الثلاثة وأحوالهم وأفعالهم ومبدئهم ومعادهم ومنشئهم ومآلهم، وكذلك الأخبار والآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، وإليهم الإشارة بقوله تعالى:

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ:

«﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قال: نحن الذي يعلمون، وعدوّنا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب»[3].

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) الواقعة: ٧ ـ ١١.

(٣) المحاسن: البرقي، ص ١٦٩.

وإلى الأخيرتين الإشارة إلى ما ورد في حديث سؤال القبر والرجعة أنه إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً. وأنه إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً.

أما سائر الناس[1] ممن سوى هذه الفرق الثلاث فبهائم وسباع وهمج رعاع ومقلّدة وأتباع وغُثاء من أهل مجرد النقل ومحض السماع، لا يعبأ بهم ولا يعتنى بشأنهم وإن كانوا من المنسوبين إلى العلم إلا أن علومهم مقصورة على العلوم الرسمية الظاهرة.

أما إن كان فيهم من يحب السعداء ويبغض الأشقياء ويهتم بالدين ويعمل بطرق من سنن المرسلين فهو الموالي والمحب والناجي، فينجو ويحشر مع من يتولاه، فإن المرء يحشر مع من أحب.

وربما يطلق الشيعة على هذا أيضاً من باب التغليب أو من جهة مشايعته لظاهر الإمام، وإن لم يشايعه لباطنه وحقيقته. وهذا كالمؤمن الذي قد يخصّ بالممتحن وقد يطلق ليشمل غير الممتحن أيضاً كما قال الصادق عليه السلام:

«المؤمن مؤمنان: مؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه وذلك قول الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة وذلك مما يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة الزرع[2] تعوج أحياناً وتقوم أحياناً، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولا يشفع»[3].

---

(١) راجع الكافي: ج ٣ ص ٢٣٥.

(٢) خامة الزرع: أول ما ينبت من الزرع.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٨.

وكذلك الهمج والغُثاء قد يخصّ بمن سوى الفرق الثلاث، وقد يطلق ليشمل الفرقة الأخيرة فهم (يعني الذين لا يعلمون. . ، وأصحاب المشأمة. .) كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«الناس ثلاثة إما عالم رباني أو متعلم على سبيل نجاة أو همج رعاع، اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثّاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء»[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مطاع أو مستمع واع»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أغد عالماً أو متعلماً أو أحبّ أهل العلم ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم»[4].

ويوجد بين الإمام والشيعة والموالي مراتب ودرجات متفاوتة في القرب من السعادة الحقيقية والبعد عنها. فربّ شيعي له حظّ من

---

(١) نهج البلاغة: الحكم والمواعظ رقم: ١٤٧.
(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٤، رقم ٤.
(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٣ رقم ٧.
(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٤ رقم ٣.

الإمامة، وربّ موال له حظّ من التشيّع وإنما يعرف ذلك من خلال الصفات والعلامات التي سنذكرها لاحقاً. ومن جمعت له مع التشيع اثنتا عشر علامة فله حظ من الإمامة وإرشاد الناس، وهو نائب عن إمام الأصل عند غيبته وهذه العلامات هي:

١ ـ أن لا يطلب الدنيا بعلمه.

٢ ـ أن لا يخالف قوله فعله.

٣ ـ أن يكون همّه منصباً على تحصيل العلم النافع في الآخرة.

٤ ـ أن يؤثر الاقتصاد فلا يميل إلى الترمة في الطعام والتنعم في الملبس والتجمّل في الأثاث والمسكن.

٥ ـ أن يحذر عن مخالطة السلاطين والدخول عليهم.

٦ ـ أن لا يكون متسرعاً إلى الفتوى بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً.

٧ ـ أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكها.

٨ ـ أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين رأس المال من الدين.

٩ ـ أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً، يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته. لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكراً لله تعالى:

١٠ ـ أن يكون أكثر بحثه من علم الأعمال وما يفسدها ويشوّش القلوب ويهيّج الوساوس ويثير الشرّ. فإن أصل الدين التوقي من الشر.

١١ ـ أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على التقليد.

١٢ ـ أن يكون شديد التوقي عن محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرفه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام.

ومن أحب أحداً لاعتقاد الخير فيه أو أبغض أحداً لاعتقاد الشرّ فيه فإنه يؤجر على حبه وبغضه وإن أخطأ في اعتقاده ويدل عليه قول أبي جعفر عليه السلام حيث قال:

«لو أن رجلاً أحب رجلاً له لأثابه الله على حبّه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنّة»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنه قال:

«إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحب»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الرجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم، وإن الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار»[٣].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وذلك لأن أصحابه عليه السلام كانوا أهل طاعة وتقوى في الظاهر، فمن أحبهم أو أبغضهم مع عدم العلم بمذهبهم فإنما أحبّ أو أبغض أهل طاعة الله.

ولا يخفى أن الحب والبغض من هذه الجهة أعني جهة طاعة الله ومعصيته يرجع في الحقيقة إلى محبّة المقام والحقيقة دون الشخص، إذ لم ير المحبّ والمبغض محبوبه ومبغوضه وإنما سمع بصفاته وأخلاقه ويدل على ذلك صريحاً ما عن المفضّل بن عمر قال:

«قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لم صار عليّ بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبّه إيمان وبغضه كفر. وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلّة. والجنّة لا يدخلها إلا أهل محبّته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه.

قال المفضّل: يابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، وما يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُتي بالطائر المشوي قال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر وعنى به علياً عليه السلام؟ قلت: بلى، قال: يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم عليهم السلام رجلاً يحبه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمن من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه عليهم السلام؟ قلت: لا، قال: قد ثبت أن

جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب محبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبتهم مبغضين، قلت: نعم. قال: فلا يدخل الجنة إلا من أحبّه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار.

قال المفضّل ابن عمر: فقلت له: يابن رسول الله فرّجت عني فرّج الله عنك، فزدني مما علّمك الله: فقال: سل يا مفضّل، فقلت: أسأل يابن رسول الله؛ فعلي بن أبي طالب يدخل محبّه الجنّة ومبغضه النار، أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسولهﷺ وهو روح إلى الأنبياءﷺ وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي سنة؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف النار؟ قلت: بلى، قال: أفليس النبي ضامناً لما وعد وأوعد عن ربهﷻ؟ قلت: بلى، قال: أوليس عليّ بن أبي طالب خليفته وإمام أمّته؟ قلت: بلى، قال: أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟ قلت: بلى، قال: فعليّ بن أبي طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضّل خذ هذا فإنه من مخزون العلم المكنون لا تخرجه إلا إلى أهله»[1].

(١) علل الشرايع: باب ١٣٠، ص ١٥٥.

إن هذا الحديث الشريف جوهرة نفيسة ودرّة ثمينة قد أفادها مولانا الصادقعليه السلام وفيه فوائد جمّة لا تذهب على أولي النهي.

منها أن المراد بمحبة أمير المؤمنينعليه السلام ما يورث المعرفة بمقامهعليه السلام، إذ هو الذي يساوق الإيمان، وليس المراد بها محبة شخصه الموجود في الدنيا، والمحسوس بالحواس الجزئية. بل المراد محبة حقيقته الإلهية ومقامه العقلي الكلي الذي كان قبل أن يخلق الخلق. وأن نبيناصلى الله عليه وآله أُرسل إلى سائر الأنبياء وأوصيائهمعليهم السلام في مقامه العقلي الكلي، وبشرهم وأنذرهم وهم يومئذ مكلفون بطاعته وامتثال أمره واجتناب معصيته تصديقاً لقوله تعالى:

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾[1].

وأنهصلى الله عليه وآله الضامن على الله ما وعد به أهل الاستجابة والطاعة وما توعّد به أهل التكذيب والمعصية. وأن أمير المؤمنينعليه السلام خليفته على ذلك كل في سائر أمّته في الأوّلين والآخرين، سواء الأنبياء والأمم. وأن حكمه جار ـ على سَدَنة الجنان وعلى خزنة النيران، يصدرون عن أمره ونهيه، وأن الملائكة متعبدون بالاستغفار لشيعته كتعبدهم بالتوحيد والنبوّة والولاية.

قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[2].

---

(١) النجم: ٥٦.

(٢) غافر: ٧.

صفات المؤمن

عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«قام رجل يقال له همّام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنينعليه السلام وهو يخطب فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه. فقالعليه السلام: يا همام المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً، زاجرٌ عن كل فانٍ، حاضٌّ على كل حسن، لا حقود لا حسود ولا وثّاب[1] ولا سبّاب ولا عيّاب ولا مغتاب، يكره الرفعة، ويشنأ السُمعة، طويل الغم بعيد الهمّ، كثير الصمت، وقورٌ ذكورٌ صبور شكور، مغموم بفكره[2] مسرور بفقره، سهل الخليقة[3]، ليّن العريكة[4]، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفّك[5] ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق وإن غضب لم

(١) وثاب: أي لا يثب في وجوه الناس بالمنازعة والمعارضة.
(٢) بسبب فكره في أمور الآخرة.
(٣) سهل الخليقة: ليس في طبعه خشونة ولا غلظة.
(٤) العريكة: الطبيعة.
(٥) المتأفك: من المبالغة في الإفك بمعنى الكذب.

ينزق[١]، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يبطر[٢] ولا يحيف في حكمه[٣] ولا يجور في علمه[٤]، نفسه أصلب من الصلد[٥] ومكادحته أحلى من الشهد[٦]، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف[٧] ولا متكلّف ولا متعمّق[٨]، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدلٌ إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر، ولا يتهتّك ولا يتجبّر، خالص الودّ وثيق العهد وفيّ العقد، شفيق وصول حليم خمول[٩]، قليل الفضول، راض عن الله تعالى، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه[١٠]، ولا ينكي[١١] الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يُطلع الجاهل علمه، قوّال، عالمٌ، عمّالٌ، حازم، لا بفحاش ولا بطيّاش[١٢]، وصول في غير عنف،

---

(١) نزق: حف عند الغضب.
(٢) البطر: شدة الفرح والطغيان.
(٣) الحيف: الجور.
(٤) يجور: يظلم.
(٥) الصلد: الحجر الصلب.
(٦) المكادحة: من الكدح أي السعي.
(٧) الصلف: التكلم بما يكرهه صاحبك والتكلم بما ليس عندك والادعاء تكبراً.
(٨) أي لا يبالغ في الأمور الدنيوية.
(٩) خمول: أي خامل الفكر غير مشهور بين الناس. أي لا يحب الشهرة.
(١٠) لا يخرق الثناء سمعه: كناية عن عدم التأثير فيه وكأنه لا يسمع.
(١١) لا ينكي الطمع قلبه: لا يؤثر في قلبه.
(١٢) طياش: من الطيش أي النزق والخفّة، ذهاب العقل.

بذول في غير سرف، لا بختّال[1]، ولا بغدّار، ولا يقتفي أثراً ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك ستراً، ولا يكشف سرّاً، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره وإن عاين شراً ستره، يستر العيب ويحفظ الغيب ويُقيل العثرة ويغفر الزلة، لا يطّلع على نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه[2]، أمين، رصين، تقيّ، زكيّ، رضيّ، يقبل العذر ويجمل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتّهم على العيب نفسه، يحب في الله بفقه وعلم ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح[3] ولا يطيش به مرح[4]، مذكّر لعالم معلّم للجاهل، لا يتوقع له بائقة[5]، ولا يخاف له غائلة، كل سعي أخلص عنده من سعيه، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمّه، ولا يثق بغير ربّه، غريب، وحيد، جريد، حزين، يحب في الله، ويجاهد في الله ليتّبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، موازر لأهل الحق، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفيّ بأهل المسكنة، مرجوٌّ لكل كريهة، مأمول لكل

---

(١) لا بختال: أي لا يتبع عيوب الناس.

(٢) أي لا يدع شيئاً من الظلم يقع منه أو من غيره. والجنح: الجانب والناحية.

(٣) لا يخرق به فرح: أي لا يصير الفرح سبباً لخرقه وسفهه.

(٤) لا يطيش به مرح: أي لا يصير شدة فرحه سبباً لنزقه وذهاب عقله.

(٥) البائقة: الداهية، والغائلة.

شـدّة، بـشّـاش، هـشـاش[1]، لا بـعـبـاس[2] ولا بجسّاس[3]، صليب[4]، كظّام، بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، وإن بخل عليه صبر، عقل فاستحيى، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووده يعلو حسده، وعفوه يعلو حقده، لا ينطق بغير صواب ولا يلبس إلا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غشّ ولا خديعة، نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة، مناصحاً، متباذلاً، متواخياً، ناصحٌ في السرّ والعلانية، لا يهجر أخاه، ولا يغتابه، ولا يمكر به، ولا يأسف على ما فاته، ولا يحزن على ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدّة، ولا يبطر في الرخاء، يمزج العلم بالحلم والعقل بالصبر، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً لأجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربه، قانعةً نفسه، منفيّاً جهله، سهلاً أمره، حزيناً لذنبه، ميتة شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، قانعاً بالذي قدّر له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتّجر ليغنم، لا ينصت للخبر ليفجر به، ولا يتكلم ليتجبّر به على من

---

(١) الهشاشة: الارتياح والخفة للمعروف.

(٢) عبّاس: كثير العبوس.

(٣) الجسّاس: كثير التجسس.

(٤) صليب: أي متصلب شديد في أمور الدين.

سواه، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، فأراح الناس من نفسه، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له، بُعده ممن تباعد منه بغضٌ ونزاهة، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمة ولا دنوّه خديعة ولا خلابة[1]، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ.

قال: فصاح همام صيحة ثم وقع مغشياً عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها.

فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: إن لكلّ أجلاً لا يعدوه وسبباً لا يجاوزه، فمهلاً لا تعد فإنما نفث على لسانك شيطان»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لأهل الدّين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء بالعهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلّة المراقبة للنساء ـ أو قال: قلّة المؤاتاة[3] للنساء ـ وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الخلق، واتباع العلم وما يقرّب إلى الله تعالى زلفى طوبى لهم وحسن مآب، وطوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبي

(١) الخلابة: الخدّاعة.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦.
(٣) المؤاتاة: الموافقة والمطاوعة.

محمد ﷺ، وليس مؤمن إلا وفي داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه ذلك، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا، إن المؤمن من نفسه في شغل، والناس منه في راحة، إذا جنّ عليه الليل افترش وجهه وسجد لله تعالى بمكارم بدنه يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته ألا فهكذا فكونوا»[1].

وعن أحدهما عليه السلام قال:

«مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بمجلس من قريش فإذا هو بقوم بيض ثيابهم صافية ألوانهم، كثير ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلى من يمرّ بهم[2]، ثم مرّ بمجلس للأوس والخزرج فإذا قوم بليت منهم الأبدان ودقّت منهم الرّقاب واصفرّت منهم الألوان وقد تواضعوا بالكلام فتعجّب عليّ صلوات الله عليه من ذلك، ودخل على رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي إني مررت بمجلس لآل فلان ثم وصفهم ومررت بمجلس للأوس والخزرج فوصفهم ثم قال: وجميع مؤمنون فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن، فنكس رسول الله ﷺ ثم رفع رأسه فقال: عشرون خصلة في المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمنين - يا علي - الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى الزكاة،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٩ رقم ٣٠.

(٢) كناية عن الاستهزاء والإشارة إلى العيوب.

والمطعمون المسكين، الماسحون رأس اليتيم، المطهّرون أطمارهم[1]، المتّزرون على أوساطهم[2]، الذين إن حدّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإن ائتمنوا لم يخونوا، وإن تكلموا صدقوا، رهبان بالليل، أسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون اللّيل، لا يؤذنون جاراً ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هون، وخطاهم إلى بيوت الأرامل وعلى أثر الجنائز، جعلنا الله وإياكم من المتقين»[3].

وعن أبي جعفرعليه السلام قال:

«سئل النبيصلى الله عليه وآله عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا وإذا غضبوا غفروا»[4].

وعنهعليه السلام قال:

«قال النبيصلى الله عليه وآله: إن خياركم أولو النهي، قيل: يا رسول الله ومن أولو النهي؟ قال: هم أولو الأخلاق الحسنة والأحلام الرزينة[5]، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون»[6].

---

(١) أطمارهم: أي ثيابهم البالية.

(٢) أي يشدون المئزر على وسطهم احتياطاً لستر العورة.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٢ رقم ٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٠ رقم ٣١.

(٥) الأحلام: جمع حلم أي العقل. والرزين: الثقيل الوقور.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٠ رقم ٣٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعفى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله، قال: إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب»[1].

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام قال:

«المؤمن يصمت ليسلم، وينطق ليغنم، لا يحدّث أمانته للأصدقاء، ولا يكتم شهادته من البعداء، ولا يعمل شيئاً من الخير رياء ولا يتركه حياء، إن زُكّي خاف مما يقولون، ويستغفر لما لا يعلمون، لا يغرّه قول من جهله ويخاف إحصاء ما عمله»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، والذي إذا قدر لم يخرجه قدرته إلى التعدي إلى ما ليس له بحق»[3].

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٧.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٣١ رقم ٣.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٤ رقم ١٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«المؤمن له قوّة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه. ونشاط في هدى، وبرٌّ في استقامة، وعلم في حلم، وكيسٌ في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمّل في فاقة، وعفوٌ في قدرة، وطاعة لله في نصيحة، وانتهاء في شهوة، وورع في رغبة، وحرصٌ في اجتهاد، وصلاة في شغل، وصبرٌ في شدّة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، ولا يغتاب ولا يتكبر ولا يقطع الرحم، وليس بواهن، ولا فظّ ولا غليظ ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، يُعيَّر ولا يُعيِّر، ولا يسرف، ينصر المظلوم، ويرحم المسكين، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، لا يرغب في عز الدنيا، ولا يجزع من ذلّها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، وله هم قد شغله، لا يرى في حكمه نقص، ولا في رأيه وهن ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده، ويكيع[1] عن الخنا والجهل»[2].

وعن الرضا عليه السلام قال:

«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه، وسنّة من نبيه وسنّة من وليّه، فأما السنّة من ربه فكتمان سرّه، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

---

(١) يكيع: يهاب شخصاً ويجبن عنه. الخنا: الفحش والجهل.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٣١.

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وأما السنة من نبيّه فمداراة الناس، فإن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ بمداراة الناس، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ وأما السنّة في وليّه، فالصبر في البأساء والضراء»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن هذه الدنيا يعطيها الله البرّ والفاجر ولا يعطي الإيمان إلا صفوته من خلقه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر»[3].

وعن سدير الصيرفي قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي، ما طمع فيه تيمٌ ولا عديٌّ، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال عليه السلام: مائة ألف؟ قلت: نعم ومائتي ألف، قال عليه السلام: ومائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عني، ثم قال: يخفّ[4]

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٤١ رقم ٣٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢١٥ رقم ٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٢.

(٤) يخف عليك: يسهل عليك.

عليك أن تبلغ معنا إلى يَنْبُع[1]، قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يسرجا فبادرت بركبت الحمار، فقال: يا سدير أترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل[2]، قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار وركبت البغل، فمضينا، فحانت الصلاة، فقال: يا سدير أنزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة[3] لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء[4] فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلّينا، فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر»[5].

وعن حمران بن أعين قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة، قال حمران: فقلت: جعلت فداك ما حال عمار؟ قال: رحم الله عماراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً، فقلت في نفسي: ما من شيء أفضل من الشهادة، فنظر إليّ فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة أيهات أيهات»[6].

---

(١) يَنْبُع: حصن له عيون ونخيل وزروع.

(٢) النبل: الذكاء والنجابة.

(٣) أرض سبخة: أرض ذات نز وملح.

(٤) الجداء: جمع جدي وهو من أولاد المعز.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٢.

(٦) المراد بالثلاثة: سلمان، أبو ذر، والمقداد، رجال الكشي: ص ٨.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال:

«ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً ولكن جعلوا أنساً للمؤمنين»[1].

وعن امام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لو لم يكن في الأرض إلا مؤمن واحد لاستغنيت به عن جميع خلقي، ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يحتاج إلى أحد»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنّ الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«لا يصيب قريةً عذاب وفيها سبعة من المؤمنين»[4].

وعن فضيل بن يسار قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضة مرضها لم يبق منه إلا رأسه[5]. فقال: يا فضيل إنني كثيراً ما أقول: ما على رجل عرّفه الله هذا الأمر لو كان في رأس جبل حتى يأتيه الموت، يا فضيل بن يسار إن الناس أخذوا يميناً وشمالاً وإنا وشيعتنا هدينا الصراط

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) كناية عن نحافة جسمه عليه السلام.

المستقيم، يا فضيل بن يسار إن المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيراً له، ولو أصبح مقطّعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له، يا فضيل بن يسار إن الله لا يفعل بالمؤمن إلا ما هو خيرٌ له، يا فضيل ابن يسار لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى عدوّه منها شربة ماء، يا فضيل بن يسار إنه من كان همّه همّاً واحداً كفاه الله همّه، ومن كان همّه في كل واد، لم يبال الله بأيّ واد هلك»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«أربع لا يخلو منهنّ المؤمن أو واحدة منهنّ: مؤمن يحسده وهو أشدُّهنّ عليه، ومنافق يقفو أثره، أو عدوّ يجاهده، أو شيطان يغويه»[2].

وعنهعليه السلام قال:

«ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاثة عليه، إما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه، ولو أن مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله تعالى إليه شيطان يؤذيه، ويجعل الله له من إيمانه أُنساً لا يستوحش معه إلى أحد»[3].

وعنهعليه السلام قال:

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٦.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٠ رقم ٤.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٩.

ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلا وله جار يؤذيه، ولو أن مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه[1].

وعنه عليه السلام قال:

«إنه ذكر عنده البلاء وما يخصّ الله به المؤمن، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون ثم الأمثل فالأمثل ويبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ومن سخف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«إن المؤمن من الله لبأفضل مكان ـ ثلاثاً ـ إنه ليبتليه بالبلاء ثم ينزع نفسه عضواً عضواً من جسده وهو يحمد الله على ذلك»[3].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٥١ رقم ١١.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٢ رقم ٢.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٤ رقم ١٣.

صفات الشيعة

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليصبحون ويمسون شُعثاً غُبراً خمصاً، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربّهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون»[2].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥.

وفي رواية أخرى:

«والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً يخالفون بين جباههم وركبهم، كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر، كأنما القوم باتوا غافلين، قال: ثم قام فما رُئيَ ضاحكاً حتى قبض صلوات الله عليه»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنما شيعة عليّ عليه السلام الحلماء العلماء، الذّبل الشفاه، تعرف الرُّهبانية على وجوههم»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن شيعة علي عليه السلام كانوا خمص[٣] البطون، ذبل الشفاه، أهل رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد»[٤].

وعنه عليه السلام قال:

«شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن»[٥].

وعنه عليه السلام قال:

«شيعتنا أهل الهدى، وأهل التقوى، وأهل الخير، وأهل الإيمان، وأهل الفتح والظفر»[٦].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥ رقم ٢٠.

(٣) الخمصة: الجوعة.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

وعنه عليه السلام قال:

«إياك والسفلة فإنما شيعة عليّ عليه السلام من عفّ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر»[1].

وعن مهزم الأسدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا مهزم شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه[2]، ولا شحناؤه بدنه[3]، ولا يمتدح بنا معلنا، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يخاصم لنا قالياً، إن لقي مؤمناً أكرمه وإن لقي جاهلاً هجره، قلت: جعلت فداك فكيف أصنع بهؤلاء المتشيّعة؟[4] قال: فيهم التمييز، وفيهم التبديل، وفيهم التمحيص، تأتي عليهم سنون تفنيهم، وطاعون يقتلهم، واختلاف يبدّدهم، شيعتنا من لا يهرُّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل عدوّنا وإن مات جوعاً، قلت: جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض، أولئك الخفيض عيشهم، المتنقلة ديارهم، وإن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، ومن الموت لا يجزعون، وفي القبور يتزاورون، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموه، لن تختلف قلوبهم وإن اختلفت

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣.
(٢) لخفاء صوته الدال على لين طبعه.
(٣) أي لا تتجاوز عداوته بدنه أي يعادي نفسه ولا يعادي غيره.
(٤) المتشيّعة: الذين يدّعون التشيّع.

بهم الديار، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: أنا المدينة وعليّ الباب، وكذب من زعم أنّه يدخل المدينة لا من قبل الباب، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيت»[2].

وعن محمد بن عجلان قال:

«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلّم فسأله عليه السلام: كيف من خلّفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى، فقال: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة، قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال: إنك لتذكر أخلاقاً قلّما هي فيمن عندنا، قال: فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة»[3].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٨.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٧٧.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٣.

وعن أبي إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام:

«جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير، فقال: هل يعطف الغني على الفقير، ويتجاوز المحسن عن المسيء، ويتواسون؟ قلت: لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»[1].

وعن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«قال لي: يا جابر أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشّع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء، قال جابر: فقلت: يابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحبّ عليّاً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً، فلو قال: إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرسول الله خير من عليّ ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تعالى إلا بالطاعة، ما معنا براءة من النار،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧٣.

ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، ما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنه قال:

«يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي. فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجّة، ولا نتقرّب إلى الله إلا بالطاعة ممن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغترّوا، ويحكم لا تغترّوا»[2].

وعن الكاظم عليه السلام قال:

«كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا يتحدث المخدَّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»[3].

وعن الصادق عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٧٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٧٩.

«لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»[1].

وعن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال: وعليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرئه السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه فإن عليّاً إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة»[2].

وعن أبي أسامة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أودّعه فقال لي:

«يا زيد ما لكم وللناس قد حملتم الناس عليّ، والله ما وجدت أحداً يعطيني ويأخذ بقولي إلا رجل واحد ـ رحمه الله ـ عبد الله بن يعفور، فإنه أمرته بأمر وأوصيته بوصية فاتّبع قولي وأخذ بأمري، والله إن الرجل منكم ليأتيني فأحدّثه بالحديث لو أمسكه في جوفه لعزّ، وكيف لا يعزُّ ومن عنده ما عند الناس ويحتاج الناس إلى ما في يديه ولا يحتاج إلى ما في أيدي الناس، فآمره أن يكتمه فلا يزال يذيعه حتى يذلّ به عند الناس ويعيّر به، قلت: جعلت فداك إن رأيت كفّ هذا عن مواليك فإنه إذا بلغهم هذا عنك شقّ عليهم، فقال:

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٤.

إني أقول والله الحق، وإنك تقدم غداً الكوفة فيأتيك إخوانك ومعارفك فيقولون: ما حدّثك جعفر أفما أنت قائلاً؟ قال أقول لهم ما تأمرني به لا أقصّر عنه ولا أعدوه إلى غيره، قال عليه السلام: أقرىء من ترى أنه يطيعني ويأخذ بقولي منهم السلام وأوصهم بتقوى الله، والورع في دينهم والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها من برّ أو فاجر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بردّ الأمانة وبردّ الخيط والمخيط، صلّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا أدب جعفر فيسرّني ذلك أن قالوا هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليه بلاؤه وعاره، والله لقد حدّثني أبي أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ - رضوان الله عليه - فكان أقضاهم للحقوق وأدّاهم للأمانة وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم، وودائعهم، يُسأل عنه فيقال: من مثل فلان، فاتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرُّوا إلينا كل مودّة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حقّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله. وتطهير من الله ولادة طيّبة لا يدّعيها أحد غيرنا إلا كذّاب، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله فإن الصلاة عليه عشر حسنات، خذ بما

أوصيك به واستودعك الله»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيّنون بنا، وصنف يستأكلون بنا، وصنف منّا وإلينا، يأمنون بأمننا ويخافون بخوفنا، ليسوا بالبذر المذيعين، ولا بالجفاة المرائين، إن غابوا لم يفقدوا، وإن شهدوا لم يؤبه بهم، أولئك مصابيح الهدى»[2].

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٦ والكشي في رجاله: ص ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٥٠.

الفهرس

أخلاق الشيعة